الوقف ودوره في التنمية الثقافية والعلمية

الأستاذ الدكتور/ حسن عبد الغني أبوغدة *

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى تجلية حقيقة الوقف الذي شرعه الإسلام، وبيان مدى الحاجة إليه في المجتمعات الإسلامية بل والإنسانية، لأن من غاياته الارتقاء بالإنسان عموما، وتحقيق سعادته وتوفير طموحاته الروحية والمادية.

ومن الطرق التي سلكها المسلمون في سبيل ذلك، وقف المساجد والمدارس والجامعات والمكتبات الخاصة والعامة، والمراكز العلمية والبحثية، فقد أشادوا الكثير منها في طول البلاد وعرضها، وأنفقوا عليها وعلى علمائها وأساتذتها وموظفيها وطلابها ومستلزماتها بسخاء منقطع النظير، لا تزال معالمه باقية إلى اليوم.

وقد أسهمت تلك الأوقاف المتنوعة في إيجاد حضارة مزدهرة ذات طابع أخلاقي وسلوك إنساني رشيد، وتكوين انطلاقة هائلة ذات ارتقاء فكري حر ومستقل عن المؤثرات الحكومية، كما أوجدت تلك الأوقاف نهضة علمية وثقافية شاملة، كان من آثارها وجود مئات الآلاف من العلماء والباحثين والمؤلفين والمخترعين ورجال الفكر ذوي الإبداعات المتنوعة، في شتى المعارف الإنسانية والتخصصات الثقافية والعلمية والاجتماعية، التي أفادت منها الحضارة الغربية الحديثة.

وأوضح هذا البحث أن الأموال الإسلامية الوقفية الخاصة والعامة التي أسهمت في التنمية الحضارية، لا تزال هائلة إلى وقتنا الحاضر، وهي تنتظر دورها المعاصر في بذل أقصى الجهود المخلصة المطوَّرة للانتفاع بها.

كما تم في هذه البحث عرض مجموعة من الأساليب والطرق والنماذج المعاصرة الإقليمية والدولية، التي تصلح لاستثمار الممتلكات الوقفية الحالية من أجل تحقيق سعادة الإنسان وتوفير طموحاته الروحية والمادية، وتنمية المواهب والمعارف الثقافية والعلمية، وخاصة في المجتمعات الإسلامية الناهضة، التي تحاول تقليل الفجوة بينها وبين المجتمعات الأخرى المتقدمة.

* أستاذ الفقه المقارن والسياسة الشرعية بقسم الدراسات الإسلامية في كلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض

المقدمة نبذة عن البحث:

أولاً: التعريف بالموضوع: تهدف هذه الدراسة إلى بيان حقيقة الوقف، وما يتصل به من مصطلحات، وبيان حكمه الشرعي مع الأدلة، والأهداف التي شرع من أجلها.

كما تبين هذه الدراسة معنى التنمية الثقافية والعلمية، والمترلة الرفيعة التي حظيت بها في الإسلام. وتعرض دور الوقف في تحقيق ذلك، والطرق والأساليب والأدوات الوقفية التي تفاعل معها المسلمون للارتقاء بالفكر الإنساني وتنميته، ثقافة وعلماً وإبداعاً وحضارةً وأخلاقاً.

كما تبين هذه الدراسة الدور المعاصر المقترح لاستثمار الوقف في تطوير الأفراد والمجتمعات الإسلامية ثقافياً وعلمياً، من أجل تقليل الفجوة بينها وبين المجتمعات الأخرى المتقدمة.

ثانياً: أهمية الموضوع: تتمثل أهمية هذا البحث في عدة وجوه منها:

١. إبراز دور الوقف ورسالته في المجتمع الإسلامي، وبخاصة في المجالات الفكرية والثقافية والعلمية، لعل ذلك يسهم في رد الاعتبار إليه في حياتنا المعاصرة.

٢. الكشـــف عن مدى سبق المسلمين في الاهتمام بشتى مجالات التنمية الثقافـــية والعلمية التي تعتبر عنصراً مهماً في تقدم الشعوب وازدهار حياتها.

٣. تعضـــيد وتأيـــيد النداءات والمقترحات المعاصرة الداعية إلى ضرورة إشـــراك الجهات الخاصة من أفراد ومؤسسات ونحوها، في مشاريع التنمية الشاملة، ومنها التنمية الثقافية والعلمية، وذلك للتخفيف عن الجهات الرسمية التي تزاحمت عليها المسؤوليات وكثرت عليها وجوه الإنفاق.

٤. إرشاد ودلالة الراغبين في فعل الخير إلى مجالات ثقافية وعلمية معاصرة خطيرة، هي بحاجة إلى أن توجه إليها كثير من الأموال الموقوفة.

٥. دراســـة وتخـــريج بعـــض الأساليب والطرق المعاصرة، التي تصلح لاســـتثمار وتنمـــية الأموال الوقفية الوفيرة، وتوجيهها نحومزيد من الأهداف البناءة، وبخاصة الميادين العلمية والثقافية.

ثالـــثاً: مـــنهج البحـــث وطريقـــته: اتبع في هذا البحث -عموماً- المنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي، مع الدراسة والتحليل والاستنتاج، وذلك في ضوء ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية، وما جاء في كتابات الفقهاء والعلماء الآخرين على تنوع تخصصاتهم.

وقــد التزمــت توثيق المعلومات من مصادرها، واكتفيت بذكر اسم المرجع والموضــع المــراد فيه، مع أنني سأذكره ومؤلفه وطبعته بالتفصيل، في فهرس خاص بالمراجع.

رابعاً: خطة البحث: اقتضت الدراسة أن تكون في سبعة مباحث وخاتمة على النحوالتالي:

المبحث الأول: تعريف الوقف وبيان حكمه وأهدافه.

المبحث الثاني: تعريف التنمية الثقافية والعلمية وبيان مكانتها في الإسلام.

المبحث الثالث: وقف المساجد ودوره في التنمية الثقافية والعلمية.

المبحث الرابع: وقف الكتاتيب (مدارس التعليم الابتدائي) ودوره في التنمية الثقافية والعلمية.

المبحث الخامس: وقــف مــدارس التعليم فوق الابتدائي ودوره في التنمية الثقافية والعلمية.

المبحث السادس: وقف المكتبات ودوره في التنمية الثقافية والعلمية.

المبحث السابع: الدور المعاصر لاستثمار الوقف في التنمية الثقافية والعلمية.

الخاتمــــــة: في أهم معالم ونتائج البحث.

المبحث الأول
تعريف الوقف وبيان حكمه وأهدافه

أولاً: تعريف الوقف لغة: الوقف (بفتح الواووسكون القاف): الحبس (بفتح الحـــاء وســـكون الباء). وهما مصدران للفعلين: وقف، وحبس. ومن هذا قولهم: وقف الرجل بئراً: حبسها في سبل الخير، للسقاية ونحوها. أما قولهم: أوقف (بالهمز) الرجل بئراً، فهي لغة رديئة غير فصيحة[١].

وكما يطلق الوقف على المصدر، يطلق أيضاً على الشيء الموقوف، وهذا من بـــاب إطـــلاق المصدر وإرادة اسم المفعول، كقولهم: هذا المصحف وقف. أي: موقوف[٢].

ويجمـــع لفـــظ (الوقـــف) على وقوف، وأوقاف[٣]، ومن هذا قولهم: وزارة الأوقاف.

ثانياً: تعريف الوقف اصطلاحاً: الوقف اصطلاحاً له تعريفات عديدة، يختلف بعضـــها عـــن بعض اختلافاً جزئياً، ولعل أنسبها أنه: حبس العين عن التمليك، مع التصدق بمنفعتها[٤].

(١) لسان العرب: مادة: (وقف) و(حبس).
(٢) المصباح المنير والمعجم الوسيط: مادة: (وقف).
(٣) المصباح المنير: مادة: (وقف).
(٤) حاشية القليوبي ٩٧/٣ وإعلام الموقعين ٣٤/٢ والتعريفات ص ٣٥٣.

والمراد بحبس العين: إمساكها (كالأرض الزراعية) عن البيع والهبة ونحوها من أسباب التمليك.

والمراد بالتصدق بمنفعتها: تمكين جهات معينة (كالفقراء) من الانتفاع بثمارها وغلالها.

ويعـــود سبب اختيار هذا التعريف إلى أن له أصلاً في قول النبي ﷺ لعمر ابن الخطاب ﷺ في أرض له أصابها بخيبر: (إن شئت حبَّست أصلها، وتصدقت بها) [1].

أي: تصدقت بمنفعتها كما يذكر ابن حجر رحمه الله تعالى[2].

ثالـــثاً: الألفـــاظ ذات الصـــلة بالوقف: للوقف مترادفات وردت في بعض الأحاديـــث النبوية، وفي كتابات الفقهاء، منها: السبيل، وجمعه: سبل[3]، والتأبيد، كقولهم: أبدت الأرض: وقفتها وذلك لكون الوقف مؤبد المدة [4]. ومنها الصدقة

(١) أخرجه الشيخان كما في اللؤلؤ والمرجان برقم ١٠٥٦.
(٢) انظر: فتح الباري ٥/٤٠١
(٣) الأصل في هذا قوله ﷺ لعمر ﷺ: (احبس أصلها وسبل ثمرتها) رواه أحمد في المسند ٢/١١٤ والنسائي في السـنن ٦/٢٣٢ وابـن ماجه في السنن ٢/٥٤ والحديث صحيح كما في صحيح سنن النسائي ٢/٧٦٣ وورد عـند الشيخين بلفظ (إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها) كما في اللؤلؤ والمرجان برقم١٠٥٦، وسيأتي في مناسبته -قريبا - ذكره بتمامه.
(٤) نيل الأوطار ٦/٢٠ و٢٣.

الجارية[١]. والحبس، وجمعه: أحباس، وحبس (بضمتين) [٢]. وبعضهم يسكن الباء في الجمع -على لغة- فيقول: حبس[٣].

وقد جرت عادة بعض الفقهاء المالكية على ذكر أحكام الوقف تحت عنوان: كتاب الحبس[٤]. (بسكون الباء وبضمها) وذلك بدلاً من قول فقهاء آخرين كتاب الوقف[٥].

رابعاً: حكم الوقف: اتفق الفقهاء على أن الوقف جائز مشروع، بل هو- عند بعضهم- مندوب إليه[٦]، لما يأتي من أدلة. وخالف هذا الاتفاق شريح القاضي، الذي قال بعدم جواره، استدلالاً بآيات المواريث في سورة النساء[٧]، وبحديث (لا حبسن عن فرائض الله)[٨].

(١) الأصل في هذا حديث: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أوعلم ينتفع به، أوولد صالح يدعوله). رواه مسلم ٣/١٢٥

(٢) الأصل في هذا ما جاء في حديث عمر الآنف في أرضه بخيبر، وانظر الصحاح والقاموس المحيط و المعجم الوسيط: مادة (حبس) و(وقف).

(٣) المصباح المنير: مادة: (حبس).

(٤) كفاية الطالب ٢/٢١٠ والثمر الداني ص٥٤٩.

(٥) الاختيار ٣/٤٠ ومنح الجليل ٤/٣٣ وأسنى المطالب ٢/٤٥٧ والإنصاف ٧/٣.

(٦) المبدع ٥/٣١٢ والاختيار ٣/٤٠ ومنح الجليل ٤/٣٣ وأسنى المطالب ٢/٤٥٧.

(٧) من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿للرجال نصيبٌ مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيبٌ مما ترك الولدان والأقربون مما قل منه أوكثر نصيباً مفروضاً﴾ النساء/٧.

(٨) ورد بهذا اللفظ في المغني ٨/١٨٥ ونيل الأوطار ٦/٢٢ - ٢٣ وذكر الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ١/٢٩٣ أن لفظه: ((لا حبس - أي: وقف - بعد سورة النساء)) وأن الحديث ضعيف أخرجه الطحاوي في شرح سنن الآثار ٢/٢٥٠ والطبراني ٣/١١٤ والبيهقي في سننه ٦/١٦٢ من طريق عبد الله ابن لهيعة عن أخيه عيسى بن لهيعة، عن عكرمة عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعدما نزلت سورة النساء وفرضت فيها الفرائض، فذكر الحديث. وابن لهيعة وأخوه ضعيفان عند أهل الحديث. إ.هـ

واســـتدل الفقهاء القائلون بجواز الوقف، بأدلة كثيرة صحيحة واضحة، فيها مشروعيته والترغيب في فعله وبيان فضله العظيم وأجره الكبير عند الله تعالى وذلك لما في الوقف من فعل الخير وإحياء النفوس وتنمية المجتمعات ومن هذه الأدلة ما يلي:

الدلـــيل الأول: حديـــث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺقال: (إذا مات الإنسان انقطـــع عملـــه إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أوعلم ينتفع به، أوولد صالح يدعوله) [١]. والصدقة الجارية عند عامة الفقهاء هي: الوقف[٢].

الدليل الثاني: حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قدم المدينة ولـــيس فيها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال: (من يشتري بئر رومة، فيجعل فيها دلوه مع دلاء المسلمين، بخير له منها في الجنة؟) قال: فاشتريتها من صلب مالي[٣].

وفي رواية أخرى: أن عثمان ﷺ اشترى بئر رومة بخمسة وثلاثين ألف درهم، فقال له النبي ﷺ: (اجعلها سقاية (سبيلاً) للمسلمين، وأجرها لك) ففعل[٤].

الدليل الثالث: حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: أصاب عمر أرضاً بخيبر فـــأتى النبي ﷺ يستأمره فيها فقال: يا رسول الله، إني أصبت أرضاً بخيبر، لم أصب مـــالاً قط أنفس عندي منه، فما تأمر به؟ قال: إن شئت حبست أصلها وتصدقت بهـــا. قال: فتصدق بها عمر، أنه: لا يباع، ولا يوهب، ولا يورث، وتصدق بها في

(١) سبق تخريجه آنفاً في هامش (٣) في صفحة (٤).
(٢) أسنى المطالب ٢/٤٥٧ ونيل الأوطار ٦/٢١-٢٣.
(٣) رواه النسائي في السنن ٦/٢٣٤ والترمذي في السنن٥/٥٨٦ وقال: هذا حديث حسن.
(٤) رواه النسائي في السنن ٦/٢٣٥ وهوصحيح كما في صحيح سنن النسائي ٢/٧٦٥.

الفقراء، وفي القربى، وفي الرقاب وفي سبيل الله، وابن السبيل، والضعيف، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم غير متموِّل [(١)]. ...

الدليل الرابع: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (وأما خالد - يعـــني: ابن الوليد رضي الله عنه -فإنكم تظلمون خالداً، قد احتبس أدراعه واعتده في سبيل الله) [(٢)].

الدليل الخامس: حديث أنس رضي الله عنه قال: أمر النبي ﷺ ببناء المسجد، فقال: (يا بني النجار، ثامنوني بحائطكم هذا)، فقالوا: لا والله، لا نطلب ثمنه إلا إلى الله) [(٣)].

الدلـــيل السادس: قول جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: (لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ذومقدرة إلا وقف) [(٤)].

هـــذا، وهـــناك أدلة أخرى ووقائع كثيرة عن الصحابة رضي الله عنهم فيها مشـــروعية الوقف وجوازه واستحبابه، بل ذكر ابن قدامة: أن الإجماع منعقد على ذلـــك، وأن الوقف مشهور بين الصحابة، لم ينكره أحد منهم، والذي قدر منهم على الوقف وقف[(٥)].

---

(١) سبق ذكر جزء من هذا الحديث وتخريجه في الهامش ٥ في ص ٣ والهامش ١ في ص ٤.
(٢) رواه الشيخان كما في اللؤلؤ والمرجان برقم ٥٦٩.
(٣) رواه الشيخان كما في اللؤلؤ والمرجان برقم ٣٠١.
(٤) الذخيرة ٣٢٣/٦ والمغني ١٨٦/٨ والبحر الزخار ١٤٨/٥، ولم أجده فيما رجعت إليه من كتب الحديث.
(٥) المغني ١٨٦/٨.

خامســـاً: أهداف الوقف: يبدوللناظر المتأمل في مجمل أدلة مشروعية الوقف، أن هـــناك مقاصـــد وأهدافـــاً توخاها الإسلام في تشريعه للوقف، ومن أهم هذه الأهداف ما يلي:

الهدف الأول: تحقيق رغبات الإنسان الروحية في اكتساب الثواب المتجدد:
وهذا هدف يسعى إليه عامة الناس بدواعي الفطرة، رغبة في المزيد من التقرب من الله تعـــالى بأعمـــال الخير والبر، التي تستمر بدوام أسباها وأدواها، ولوبعد موت صاحبها، وقد أومأ النبي ﷺ إلى هذا في قوله: (من احتبس فرساً في سبيل الله، إيماناً بـــالله وتصديقاً بوعده، فإن شبعه، وريه، وروثه، وبوله، في ميزانه يوم القيامة) [١]. قـــال ابـــن حجر قوله: (تصديقاً بوعده). أي: الذي وعد به من الثواب والأجر والحسنات[٢].....

ومـــن المقـــرر عـــند العلماء: أن الثواب يتجدد باستمرار الأعيان والأدوات وأسباب الخير الموقوفة، ولوبعد موت واقفها[٣].

الهـــدف الثاني: تحقيق مفهوم الإسلام في التنمية الشاملة: شرع الإسلام الوقـــف واعتـــبره ســـبباً من الأسباب التي تسهم في تحقيق التنمية الشاملة في شتى المجالات الدينية والأخلاقية والاجتماعية والمعيشية والعلمية والثقافية ...

(١) رواه البخاري في صحيحه ٣٤/٤.
(٢) انظر: فتح الباري ٥٧/٦.
(٣) الاختيار ٤١/٣ ونيل الأوطار ٢١/٦.

ومما يدل على هذا في هذا المجال الديني حديث: (من بنى لله مسجداً يبتغي به وجه الله، بنى الله له مثله في الجنة) [1]. ولا يخفى ما للمسجد من دور مهم وفعال في التعريف بالإسلام، ونشر قيمه وفضائله، وتعميق المشاعر الدينية، وصياغة الشخصية المسلمة التي تنهض بالمجتمع.

أما توجيه الإسلام الوقف إلى مجالات التنمية المعيشية فيدل عليه حديث عثمان في بئر رومة وحديث عمر رضي الله عنهما في أرض خيبر، وقد تقدم أن فيهما: توفير مياه الشرب والري للناس، وتقديم المحاصيل الزراعية لهم مجاناً، ونحوذلك مما فيه نهوض بمستوياتهم المعيشية والاجتماعية، وبخاصة الضعفاء والفقراء وأبناء السبيل..

وأما توجيه الإسلام الوقف إلى مجالات وميادين التنمية الثقافية والعلمية فيدل عليه حديث: (إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علماً نشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورثه، أومسجداً بناه، أوبيتاً لابن السبيل، أونهراً أجراه، أوصدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته، يلحقه من بعد موته) [2].

ويبدو للمتأمل في هذا الحديث: أن تخصيص النبي ﷺ لعلم والمصحف والمسجد بالذكر، فيه إشارة إلى عظيم دورها الريادي التنموي في المجالات الثقافية والفكرية والمعرفية والعلمية، فضلاً عن المجالات السلوكية، وذلك لما فيها من مؤثرات تعمل

---

(١) رواه الشيخان كما في اللؤلؤ والمرجان برقم ٣٠٩.
(٢) رواه ابن ماجه في السنن ١/٤٤ وفي سنده ضعف كما في مجمع الزوائد ١/١٦٧.

على تعميق وتوسيع القاعدة الذهنية الفردية والمجتمعية، وتسهم في الارتقاء بالممارسات السلوكية الخاصة والعامة.

هذا وليس عجيباً بعد وضوح أهداف الوقف وغاياته أن يقبل الصحابة ومن بعدهم -رجالاً ونساءً- على الوقف، وينوعوا أساليبه وطرقه وصوره، التي أسهمت -بجدارة- في تحقيق التنمية الشاملة، وفي قيام الحضارة الإسلامية التي نعم الناس بظلالها ومعطياتها، ولا يزالون.

المبحث الثاني

تعريف التنمية الثقافية والعلمية وبيان مكانتها في الإسلام

أولاً: تعريف التنمية لغة: هي مصدر للفعل الرباعي المتعدي بالتضعيف: نمَّى، أما فعله المجرد اللازم فهو: نما. يقال نما الزرع، ونما المال، نمواً. ويقال: نمَّى الرجل الزرع،ونمى الرجل المال تنمية ... وكل من التعبيرين يدل على حدوث الزيادة والكثرة[1]. ومع هذا فيبدو لي أن ((النمو)) يحدث تلقائياً بذاته، أما ((التنمية)) فلا تتم بذاتها، بل بتدخل خارجي.

ثانياً: تعريف الثقافة لغة: هي اسم مصدر للفعل الثلاثي: ثقف (بفتح الثاء وبكسر القاف وضمها). والمصدر: ثقفاً وثقفاً (بفتح الثاء وبسكون القاف

(١) الصحاح والمعجم الوسيط: مادة: (نما).

وفـــتحها). ويقـــال للواحـــد: ثقف وثقف (بسكون القاف وكسرها). ومثقف. وللثقافة معان عديدة، منها:الفهم والفطنة والآداب والمعارف التي ينبغي أن تتوفر في الفرد العادي وأن يحذق فيها[١].

ثالـــثاً: تعـــريف العلم لغة: هومصدر للفعل الثلاثي علم (بفتح العين وكسر الـــلام). ومـــن معانيه: معرفة الشيء وإدراكه بحقيقته، وهذا يشمل ما يطلق عليه الـــيوم: العلوم الإنسانية (النظرية) والعلوم الطبيعية (التطبيقية) التي تحتاج إلى تجربة ومشاهدة واختبار[٢].

رابعـــاً: تعـــريف التنمية الثقافية والعلمية اصطلاحاً: ظهر مصطلح (التنمية الشاملة) بقوة عقب الحرب العالمية الثانية، في كتابات كثير من المفكرين والمنظرين، وفي كتابات المنظمات الدولية، وذلك أثناء الحديث عن تجاوز ما خلفته الحرب من دمار وضياع للمنجزات البشرية الفردية والحكومية[٣].

ويكاد يجمع الباحثون والمهتمون بأمور التنمية عموماً، على أن التنمية الثقافية والعلمية، ركن مهم يندرج في التنمية الشاملة لأي مجتمع، وأنه يراد بالتنمية الثقافية والعلمـــية: الازدياد والارتقاء نحوالكمال الإنساني، في المعارف والعلوم، وفي طرق

(١) الصحاح والمعجم الوسيط: مادة: (ثقف).
(٢) المرجعان السابقان: مادة (علم).
(٣) المعجم النقدي لعلم الاجتماع: مصطلح: (تنمية) ص ٢٠٥ و٢٠٩.

التفكير والإبداع، وفي القدرات الذهنية والسلوكيات ونحوها من الإمكانات الأخرى التي يمكن للإنسان اكتسابها وإفادة المجتمع بها[١].

خامساً: بيان مكانة التنمية الثقافية والعلمية في الإسلام: ليس من دين ولا نظام ولا قانون، حث على التنمية الثقافية والمعرفية والعلمية كما فعل الإسلام، ومن القضايا التي تسجل له حتى عند غير المؤمنين به أنه دين النظر والتفكير والمعرفة والعلم والبحث، وهذه الأوصاف تلتقي -في الجملة- مع إحدى مقاصده الكلية الخمسة في حفظ العقل وصيانته من الجهل والخرافة والضياع.

وكثيرة هي النصوص القرآنية والنبوية التي تدعوإلى طلب العلم والمعرفة، وإلى الازدياد منهما، مع الحث على التدبر والنظر والتفكير، للتمييز بين الحق والباطل.

على أن دعوة الإسلام إلى هذا النوع من التنمية، غايتها خشية الله تعالى وإعلاء كلمته، وباعثها تكريم الإنسان والعمل على رقيه، ومن النصوص الواردة في هذا المجال ما يلي:

١ -قول الله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾[٢]. وهي أول آية نزلت، وفيها الدعوة إلى طلب العلم، أياً كان نوعه، دون أن يحد ذلك سن معين، أومرحلة دراسية يقف عندها طالب العلم والمعرفة.

---

(١) قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية مادة: ((التنمية)) ص ١٦٤- ١٦٥ والحضارة والثقافة والمدنية ص ٢٠ و٢٢.
(٢) العلق /١.

٢ -قول الله تعالى: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[١].

٣ -قـــول الله تعـــالى: ﴿يـــرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ [٢].

٤ - قول الله تعالى: ﴿وقل رب زدني علماً﴾[٣]. وفي هذا إشارة إلى ضرورة تنمية الفكر والعقل بالتعليم المستمر والمعرفة الدائبة، وهوما ينادي به اليوم كثير من رجـــال التربـــية والتعليم، ويعتبرونه أمراً لازماً ومهماً في تطوير المجتمعات ورقيها وازدهارها.

٥ - حديـــث الـــنبي ﷺ: (تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكـــرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة..) [٤].

٦ - حديـــث النبي ﷺ: (طلب العلم فريضة على كل مسلم) [٥]. وهويشمل المسلمة أيضاً، كما هومعروف من عموم أحكام الشريعة.

---

(١) الزمر /٩.
(٢) المجادلة /١١.
(٣) طه /١٤.
(٤) رواه ابن عبد البر في كتاب العلم وهوحديث حسن كما في الترغيب والترهيب ١/٦٦.
(٥) رواه ابن ماجه في السنن ١/٤٨ والحديث له طرق عديدة ضعيفة كما في مجمع الزوائد ١/١١٩-١٢٠ ، وذكره هنا للتأكيد على مدى اهتمام الإسلام بالتعليم المستمر والتنمية الثقافية والعلمية المستدامة.

٧- **حديـــث النبي ﷺ:** (... إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر) [١].

٨- **حديث النبي ﷺ:** (... كل يوم لا أزداد فيه علماً يقربني إلى الله تعالى، فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم) [٢].

هذا، وبعد تتبع مادة هذه الدراسة وموضوعاتها ومصادرها. تبين أن الوقف قد قام بدور مهم في التنمية الثقافية والعلمية، عبر مجموعة من المسارات والمجالات التي تنـــبه إلـــيها المســـلمون قديماً، فأقبلوا عليها بناءً وإشادة واهتماماً ورعاية وتطويراً واستثماراً، كما سيتضح هذا في المبحث التالي وما بعده.

---

(١) رواه أبوداوود ٣/٣١٧ والترمذي ٥/٤٧ وأحمد في المسند ٥/١٩٦ وإسناده حسن كما في هامش جامع الأصول ٨/٦.

(٢) رواه الطـــبراني في الأوســـط وأبونعـــيم في الحلية وابن عبد البر في كتاب العلم وفي سنده ضعف كما في كشف الخفاء ٢/١٢٦.

المبحث الثالث

وقف المساجد ودوره في التنمية الثقافية والعلمية

أولاً: وظيفة المسجد: ليس المسجد في الإسلام مكاناً للعبادة فحسب، بل إن لـــه إلى جانب ذلك دوراً بالغ الأهمية، في التنشئة الثقافية والفكرية والعلمية، إضافة إلى كونه مصدر إشعاع تربوي واجتماعي. وهذا الدور للمسجد يتعاضد مع دور الأسرة والمدرسة والمؤسسات الأخرى.

مـــن المسجد تشع الثقافة الإسلامية الأصيلة، وينبعث الوعي الديني، ويعرف الحلال والحرام، وبخاصة مع كثرة وسائل الإعلام المضللة.

وفـــيه تعـــرف فضائل الإسلام وآدابه وأحكامه، ويجد المسلم القدوة الحسنة، ويحـــاكي الصـــالحين الأبرار، ويتعلم ضبط النفس، والصبر على الشدائد، والتحلي بالأمانة والعفة،وتحمل المسؤولية بعزم ورجولة، والحرص على الانضباط الاجتماعي، والاهتمام بالنظافة، وتعود النظام ....

وفـــيه يعـــرف الفـــرد وظيفته في المجتمع، ودوره في الحياة، وعلاقته بالأسرة والجـــيران والأصحاب، كل ذلك من خلال ما يسمعه ويراه من خطب ومواعظ ودروس علمية، في المواسم والمناسبات اليومية والأسبوعية وفي غيرها .... لذا كان

المسجد موضع الاهتمام المبكر من لدن رسول الله ﷺ الذي حث على بناء المساجد، ورغب في إعمارها بالعبادة والتعلم والتعليم ...

ثانياً: وقف المساجد في العهد النبوي: يعتبر مسجد قباء في التاريخ الإسلامي أول مسجد يبنى ويوقف في سبيل الله، لأن النبي ﷺ أسسه حال قدومه مهاجراً من مكة إلى المدينة، وذلك قبل أن يدخلها ويستقر بها[١].

ثم قام ببناء المسجد النبوي عند مبرك ناقته، وكان المكان أرضاً لبني النجار، فأراد أن يدفع لهم ثمنها فقالوا: (لا والله، لا نطلب ثمنه إلا إلى الله ...)[٢].

ثالثاً: دور المسجد النبوي في العصر الأول: كان النبي ﷺ يعقد حلقات العلم في مسجده، ومن خلالها ينمي ذهنيات أصحابه، ويرتقي بمستوياتهم المعرفية والسلوكية، ويغرس فيهم الآداب والفضائل والقيم الخيرة. قال صفوان بن عسال المرادي ﷺ: أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد، فقلت له: يا رسول الله، إني جئت أطلب العلم، فقال: (مرحباً بطالب العلم، إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها) [٣].

وقال أبو واقد الليثي ﷺ بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد والناس معه، إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله وذهب واحد، فوقفا على رسول الله

(١) السيرة النبوية ٢/١٥٨.
(٢) سبق تخريجه في هامش صفحة ٦.
(٣) رواه أحمد في المسند ٤/٢٣٩ والحاكم في المستدرك ١/٢٥ وقال: إسناده صحيح، ورواه الطبراني بإسناد جيد وابن حبان في صحيحه كما في الترغيب والترهيب ١/٦٦.

ﷺ فأمــا أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم.. فلما فرغ رسول الله قال (ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟: أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا، فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه) [1].

وعن أبي هريرة ﷺ أنه مرّ بسوق المدينة فوقف عليها، فقال: يا أهل السوق، مــا أعجزكم! قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراث رسول الله ﷺ يقسم وأنتم ها هنا؟ ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه؟ قالوا: وأين هو؟ قال: في المسجد، فخرجوا سِراعاً، ووقف أبوهريرة لهم حتى رجعوا فقال لهم: ما لكم؟ فقالوا: يا أبا هريرة، قد أتينا المسجد فدخلنا فيه، فلم نر فيه شيئاً يقسم! فقال لهم: وما رأيتم في المســجد أحــداً؟ قــالوا: بلى، رأينا قوماً يصلّون، وقوماً يقرؤون القرآن، وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام، فقال لهم أبوهريرة: ويحكم، فذاك ميراث محمد ﷺ[2].

وإضــافة إلى هذه الحلقات العلمية التي كانت تعقد في المسجد النبوي، كانت هــناك خطب الجمع والأعياد والمناسبات التي كانت تطرأ على المجتمع الإسلامي، فيعالجها النبي ﷺ وأصحابه ومن بعدهم، بالإرشاد والتوجيه والتوعية والتثقيف ...

وكــم خــرّج المســجد النبوي - ولا يزال - من صحابة وتابعين، وعلماء ومدرسين في شتى فروع المعرفة، انتشروا في أرجاء الأرض يبلّغون الديــن ويعلمون

(١) رواه الشيخان كما في اللؤلؤ والمرجان برقم ١٤٠٥
(٢) رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن كما في الترغيب والترهيب ٧٤/١.

الــناس، ويغرســون الفضائل والقيم، يسهمون في الارتقاء بعقول الأفراد وتنمية المجتمعات ...

رابعاً: إقبال المسلمين على بناء المساجد وتفعيل دورها: قال عثمان بن عفان ﵁ سمعــت رسول الله ﷺ يقول: (من بنى لله مسجداً يبتغي به وجه الله، بنى الله له بيــتاً في الجــنة) [1]. وفي ضــوء هذا الترغيب يمكن اعتبار المساجد من أهم وأول المؤسسات الخيرية الوقفية، التي اهتم بها المسلمون عبر عصورهم الممتدة، فقد أقبلوا عــلى بنائها ووقفها بحماس وسخاء، وإنك لا تجد مدينة أوقرية فيها مسلمون، إلا ويسارعون في بناء المساجد أولاً، ويجعلونها وقفاً لله تعالى عن رغبة واختيار، طمعاً في عظيم ثواب الله ...

ومــن أشــهر المساجد في تاريخ الإسلام بعد المسجد الحرام والمسجد النبوي والمســجد الأقصى، الجامع الأموي في دمشق، الذي أنفق فيه الوليد بن عبد الملك الخلــيفة الأموي أموالاً طائلة، مما لا يكاد يصدقه الإنسان[2]. وقد كان لوقوع هذا الجامع في مدينة دمشق، التي تعتبر مركزاً ثقافياً وعلمياً مهماً خلال فترات طويلة من تــاريخ الإسلام، أكبر الأثر في تنمية الحركة العلمية فيه، واستخدامه في الأغراض التعليمــية، حيث كانت -ولا تزال- تعقد فيه الحلقات العلمية والوعظية والتثقيفية التي تسهم في الارتقاء الفكري والمعرفي فضلاً عن النموالسلوكي في حياة الناس.

(١) رواه الشيخان كما في اللؤلؤ والمرجان برقم ٣٠٩.
(٢) المنتظم ٦/٢٨٥ – ٢٨٧.

وكـــم تردّد على هذا الجامع من علماء أفذاذ وطلاب علم، ملؤوا الدنيا خيراً وبرّاً، وفضلاً وعلماً، وتصنيفاً وتحقيقاً ...

ومن المساجد المشهورة في تاريخ الإسلام: الجامع الأزهر في القاهرة الذي كان -ولايزال- يقصده طلاب العلم من شتى الأقطار والبلدان، لينهلوا من علوم الشريعة والعربية ومن العلوم الإنسانية والتطبيقية[١] ....

ومن المساجد المشهورة أيضاً: مسجد القيروان وجامع الزيتونة بتونس، وجامع القـــرويين بالمغـــرب، وجامع نيسابور في بلاد المشرق الإسلامي، وجامع قرطبة في الأندلس، وغير ذلك مما هومنتشر في أصقاع بلاد الإسلام قديماً وحديثاً.

وقد ذكر أن عدد مساجد مدينة قرطبة الأندلسية في القرن الثالـــث الهجري -*التاسع الميلادي*- بلغ ستمائة مسجد[٢].

ولا يـــزال المســـلمون يدركـــون إلى اليوم أثر المسجد في تكوين الشخصية المســـلمة، المتكاملة في جوانبها المعرفية والروحية والسلوكية، الخاصة والعامة، التي تمـــارس دورها التنموي الفاعل في الحياة، ولهذا حرصت كثير من الدول الإسلامية ومـــنها المملكـــة العربية السعودية على الإكثار من إشادة المساجد ورعايتها ماديا ومعنويا، وتفعيل دورها العلمي والثقافي، كما حرصت الجاليات المسلمة المقيمة في غير البلاد الإسلامية على بناء المساجد ووقفها، حتى بلغ عددها في هولندا -مثلاً-

(١) من روائع حضارتنا ص ١٢٩ و١٣١.
(٢) المرجع السابق ص ١٧١.

ثمانية عشر مسجداً، بل بلغ عددها في مدينة بروكسل -وحدها- عاصمة بلجيكا عشـــرين مسجداً [1]، وذلك من أجل إفساح المجال أمام المساجد في أداء وظيفتها وتحقـــيق مقاصدها في الحفاظ على الهوية الإسلامية، وبعث الفكر الديني الرشيد، ونشر الأحكام والتعاليم والفضائل الإسلامية، وتنمية السلوك الفردي والمجتمعي في نفوس المسلمين، الذين تتزايد أعدادهم في تلك الأصقاع.

خامســـاً: الوقف على مستلزمات المساجد: تحتاج المساجد إلى دعائم بشرية تسهم في التنمية الدينية والعلمية، وتتفرغ لحراسة العقيدة ورعاية الشعائر الإسلامية، وتبذل العلم والمعرفة لطلابهما.

وقد أدرك المحسنون من المسلمين هذه المعاني، فوقفوا الأموال الكثيرة -المنقولة وغـــير المنقولة- على أئمة المساجد وخطبائها والمعلمين والمؤذنين فيها، كما وقفوا عـــلى طـــلاب العلم الذين يجلسون في حلقاتها الدراسية، وعلى القائمين برعايتها وإضـــاءتها وتنظـــيفها ... ويسّـــروا للجميع أسباب السكنى والمعيشة[2]، لضمان استمرارهم في أداء رسالتهم وتحقيق مزيد من التنمية العلمية والمعرفية، وإيجاد الفرد الصالح في شتى ميوله واتجاهاته.

---

(١) إدارة وتثمير ممتلكات الأوقاف ص ٣٤٣.
(٢) المعيار ٣٣٤/٧ و٣٣٧ ومجموع الفتاوى ٤٣/٣١ ومن روائع حضارتنا ص ١٣٠-١٣١.

وقـد ذكـر أن مئات الآلاف من دنانير الذهب، وقفت مراراً عبر العصور الإسـلامية عـلى خطـباء المسـاجد وأئمتها وعلى المعلمين والطلاب والمؤذنين فيها،وعلى الفراشين والموظفين الآخرين(١).

كما وجّهت كثير من الأموال الموقوفة إلى بناء المساجد وترميمها، وشراء ما يلزمها من طنافس وسرج، وقناديل وشموع، وستور توضع على الأبواب والنوافذ، لتيسّر العبادات على المصلين، وتمكّن الأساتذة والطلاب من التعليم والتعلّم والوعظ والإرشـاد(٢). يضـاف إلى هـذا وقف الآبار، وأحواض المياه، وأماكن الطهارة، وأدوات الطهارة من أباريق ونحوها(٣)....

إن الصـور والحـالات السابق ذكرها في الوقف على المساجد ومستلزماتها البشـرية وغيرها، أسهمت إسهاماً حقيقياً في إيجاد الوعي الثقافي وتنشيط الحركة العلمية ونشر القيم الدينية والأخلاقية، فكان الناس ولا يزالون يقبلون على المساجد يـنهلون منها الفضائل والآداب الاجتماعية والثقافات والعلوم النافعة، لا يعرفون ظـرفاً زمانياً أومكانياً يحول بينهم وبين ترشيد سلوكهم وتنمية عقولهم وعلومهم ومعارفهم وممارساتهم الحياتية، بل كان شعار كل واحد منهم: طلب العلم من المهد إلى اللحد.

(١) الوقف في العالم الإسلامي ص ٧٩ ومن روائع حضارتنا ص ١٢٥ و١٢٩ و١٣١ و١٧١.
(٢) المعيار ٧/١١٢ و٢٧٢ ومجموع الفتاوى ٣١/٧٠ و٢١٢ والمرجعان السابقان.
(٣) المعيار ٧/٣٤٣ ومجموع الفتاوى ٣١/٦٩ - ٧٠ و٢٠٨.

المبحث الرابع

وقف الكتاتيب (مدارس التعليم الابتدائي) ودوره في التنمية الثقافية والعلمية

أولاً: تعريف الكتاتيب: هي جمع "كتّاب". وهومكان كان يقام -غالباً-بجوار المسجد، لتعليم القراءة والكتابة والقرآن الكريم، وشيء من علوم الشريعة والعربية، والتاريخ والرياضيات ... وهوأشبه بالمدرسة الابتدائية اليوم(١).

ثانياً: نشأة الكتاتيب: أول ما نشأت الكتاتيب في عهد الصحابة رضي الله عنهم ويدل على هذا أن عمر بن الخطاب ﷺ جعل في المدينة رجالاً يفحصون المارّة، فمن وجدوه غير متعلم أخذوه إلى الكتّاب(٢).

ويؤيد هذا الخبر ما روي: أن أطفال الكتّاب في المدينة، خرجوا إلى ظاهرها في يوم خميس، لاستقبال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺعند عودته من رحلة فتح بيت المقدس، فأصابهم من السير على الأقدام -في الذهاب والإياب- عناء شديد، فأشار عمر ﷺ ألا يذهب الأطفال إلى الكتّاب في يوم الجمعة التالي، ليستريحوا ممّا نالهم، وصار الأمر بعد ذلك عادة متّبعة، في أن يكون يوم الجمعة يوم راحة وإجازة،

---

(١) المعجم الوسيط: مادة (كتب). ومن روائع حضارتنا ص ١٢٩ وآداب المعلمين ص ٤١ – ٤٥.
(٢) التربية والتعليم في الأندلس ص ١٦٠، ولم أجد هذا الخبر فيما رجعت إليه من كتب الحديث والآثار.

ليس لأطفال الكتاتيب وحدهم، بل لسواهم من المشتغلين في دواوين الدولة وإدارتها [1]....

ثالثاً: انتشار الكتاتيب في البلدان الإسلامية: انتشرت الكتاتيب انتشاراً كبيراً ومبكراً في العواصم والمدن الإسلامية، وما من مدينة أوقرية فتحها المسلمون إلا وأنشأوا فيها كتاتيب لتعليم أولادهم الذكور والإناث.

قال غياث بن أبي شبيب: كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله ﷺ ورضي الله عنه يمّر علينا، ونحن غلمان بالقيروان، فيسلم علينا في الكتّاب، وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه [2].

وكانت الكتاتيب من الكثرة بحيث عدّ ابن حوقل ثلاثمائة كتّاب في مدينة واحدة من مدن جزيرة صقلية (في جنوبي إيطاليا اليوم). وكان بعضها من الاتساع بحيث يضم مئات، بل آلافاً من الطلاب، وذلك في القرن الثالث الهجري وما بعده[3].

ومما يروى أن أبا القاسم البلخي، كان له كتّاب يتعلم فيه ثلاثة آلاف تلميذ، وكان المكان فسيحاً جداً، بحيث إن أبا القاسم كان يحتاج إلى ركوب حمار له، ليتردّد بين طلابه، وليشرف على شؤونهم[4].

---

(١) التراتيب الإدارية ٢/٢٩٤.
(٢) معالم الإيمان ١/١٢٠.
(٣) من روائع حضارتنا ص ١٢٩.
(٤) المرجع السابق ص ١٢٩.

ولم تكن الكتاتيب خاصة بالغلمان فقط، بل كان للبنات منها نصيب، وكم خلّد التاريخ أسماء نساء تعلّمن علوم الدين والعربية وغيرها من العلوم المساعدة[1].

وممـــا يروى أن مؤدباً كان بقصر الأمير محمد بن الأغلب بتونس، وكان يعلم الأطفال في أول النهار، والبنات في آخره[2].فضلاً عن قيام معلمات فاضلات بهذه المهمة[3].

رابعـــاً: مـــن مشـــاهير المعلمين في صدر الإسلام: اتصف معلموالكتاتيب بالخصـــال الرشيدة، وكان لا يتولى هذه المهمة إلا من اشتهر بالاستقامة والعفاف وحســـن الخلق، مع الخبرة التامة في قراءة القرآن الكريم والحديث الشريف، ومعرفة علومهمـــا، إضـــافة إلى معرفة علوم العربية ونحوها من العلوم المساندة، التي تكوّن الثقافة الابتدائية عند الطلاب.

ومـــن مشـــاهير المعلمين أبوعلي شقران بن علي الهمذاني المتوفى سنة ١٦٨ هجرية، وكان من فقهاء تونس وعبّادها[4].

ومـــنهم أسد بن الفرات فاتح صقلية، الذي استشهد فيها سنة ٢١٣ هجرية، وكـــان قد عمل في بداية حياته معلماً للأولاد، ثم رحل إلى المشرق للاستزادة من

(١) ترتيب المدارك ٣٤٩/٤ وأعمال الأعلام ٤٤٢/٢ وتراجم أعلام النساء ص ٨٠ و١٠٧.
(٢) طبقات علماء إفريقية ص ١٣١.
(٣) آداب المعلمين ص ٤١ وتراجم أعلام النساء ص ١٦ و٥٨ و٨٥ و١٤٥.
(٤) طبقات علماء إفريقية ص ٦١ ومعالم الإيمان ٢٠٨/١ و٢١٥.

العلم، ثم تولى القضاء في القيروان، ثم فتح صقلية واستشهد فيها، واشتهر بالاستقامة والشجاعة وسعة العلم والفقه في الدين[١].

ومنهم حسنون الدباغ، عاش في القرن الثالث الهجري، وكان من الصالحين المخبتين[٢].

ومن المعلمين والمؤدبين: محرز بن خلف بن أبي رزين، كان يعلم الصبيان أصول الدين والعربية والأخلاق والفضائل، وعاش بتونس وكان ورعاً جليلاً مهاباً، توفي سنة ٤١٣ هجرية[٣].

ومنهم صالح الكلبي، وأبوعبد الرحمن السلمي، ومعبد الجهني، وقيس بن سعد، وعطاء بن أبي رباح، والكميت الشاعر المشهور، وعبد الحميد كاتب بني أمية، وأبوعبيد القاسم بن سلاّم، والإمام الزهري، والأعمش، والحجاج بن يوسف[٤].

خامساً: نفقات الكتاتيب: قام الخلفاء والحكام والقضاة بالإنفاق على كثير من الكتاتيب التي انتشرت في طول البلاد الإسلامية وفي عرضها، وكثيراً ما وقف الأثرياء المحسنون بعض أموالهم للإنفاق على الأساتذة والطلاب، وما يحتاجونه من وسائل وأدوات ومرافق تعليمية[٥]، بل كان بعضهم يرفد تلك الكتاتيب بجوائز

---

(١) طبقات علماء إفريقية ص ٨٠ و٨٣ وترتيب المدارك ٣/٢٩١ و٣٠٩ وطبقات الفقهاء للشيرازي ص ١٥٥ و١٥٦.
(٢) طبقات علماء إفريقية ص ٦٤.
(٣) مناقب محرز بن خلف ص ١٧ وترتيب المدارك ٤/٧١٢ – ٧١٥.
(٤) آداب المعلمين ١٤٨ – ١٤٩.
(٥) تاريخ ابن عساكر ١/٣٠٨ و٣/٢٥ ومعالم الإيمان ١/٢٢٨ و٢/٧٥.

ومكافآت مالية وعينية، وربما اشترى للمتعلمين الفاكهة ليأكلوها، والطيب ليدهنوا به رؤوسهم، وذلك إكراماً لهم، وتشجيعاً على التعلّم والدرس[1].

سادساً: دور الكتاتيب في التنمية الثقافية والعلمية: استمرت الكتاتيب في القيام بدورها الثقافي والعلمي والتربوي في المجتمعات الإسلامية، في شتى العواصم والمدن والقرى، وربما تعدّدت الكتاتيب في الحيّ الواحد، مثلما تعدّدت المساجد.

وقد حفلت المكتبة الإسلامية بالعديد من الكتب التي صنّفها المعلمون والمؤدبون، وضمنوها واجبات المعلم والمتعلم، وطرق التربية والتعليم، وأحكام ذلك في ضوء الفقه الإسلامي، والأولويات التي يبدأ بها في الحركة التعليمية، وأشهر المعلمين والمؤدبين في التاريخ الإسلامي، وغير ذلك مما تؤيده كثير من النظريات والأفكار التربوية والتعليمية المعاصرة[2].

إنه ينبغي أن لا يغيب عن البال أن الكتاتيب كانت نقطة الانطلاق للحضارة الإسلامية، حيث كانت تعدّ الأجيال الناشئة لمواصلة الدراسة والبحث والتخصص العلمي الدقيق، بعد أن تزوّدهم بمبادئ التحصيل، وتصقل مواهبهم، وتنمي ثقافاتهم وعلومهم وسلوكهم الاجتماعي، ليصبحوا فيما بعد قادة الفكر والعلم والتربية.

---

(١) معالم الإيمان ٢/٧٥ و٢٣٥-٢٣٦.
(٢) ينظر كتاب: آداب المعلمين ص ٧٥ و٨٨ و٩٨.

واستمرت تلك الكتاتيب تستمد الرعاية والعناية من الخلفاء والحكام والأثرياء المحسنين والعلماء العاملين، فأنبتت في كثير من الأحيان نباتاً صالحاً، أينع ثماره في مشاهير القادة والعلماء الحكماء والفقهاء الذين قادوا المجتمعات الإسلامية نحو المجد والسؤدد.

ثم مضت تلك القرون الزاهية، وحلّ الوهن والشيخوخة في بقايا الكتاتيب، فألغيت في كثير من الأقطار، أوتقلّص دورها، لتنهض به -من بعض الوجوه- المؤسسات التعليمية الحديثة.

المبحث الخامس

وقف مدارس التعليم فوق الابتدائي

ودوره في التنمية الثقافية والعلمية

أولاً: انتشر هذا اللون من الوقف انتشاراً واسعاً وسريعاً، وكان له أهمية كبيرة في توفير المدارس (الثانوية والجامعية) وتأمين حاجات طلاب العلم ومدرسيهم، وما يلزمهم من مرافق ووسائل وأدوات وتجهيزات ونفقات أخرى.

ويرى بعض الباحثين أنّ كل مؤسسات التعليم التي أنشئت في المجتمعات الإسلامية كانت قائمة على أساس نظام الوقف[1].

(١) نشأة الكليات ومعاهد العلم عند المسلمين ص ٤٣.

ويؤكـد باحث آخر على أنه بدون الوقف ما كان بالإمكان أن تقوم قائمة للمدارس في بعض البلاد والعصور الإسلامية[١].

لقـد أسـهم الوقف -بحق- إسهاماً بارزاً في تحقيق النهضة العلمية والفكرية الشـاملة، وتهيـئة الظـروف الملائمة للإبداع الإنساني، وذلك نتيجة للتسهيلات والأسباب التي وفّرها واقفوالمدارس للعلماء وطلاب العلم، الذين كانوا يتنقلون بين البلدان، وهم على ثقة تامة بأنهم سيجدون سبل الحياة الكريمة كلها متوافرة، أينما ذهبوا وحيثما حلّوا.

وقـد شارك في هذه الأنماط الوقفية قطاع عريض من المجتمع: خلفاء وحكام ووزراء، وأثرياء وعلماء، وكثير من عامة الناس من أهل البر والخير[٢].

ثانـياً: أماكن وأنظمة المدارس: قامت غالبية المدارس بجوار المساجد، وكانت عمارتهـا على درجة كبيرة من الإتقان والسعة والجمال، وكان لها أنظمتها الخاصة التي تسير عليها، وتقاليدها التي ترعاها[٣].

ثالـثاً: **أشهر المدارس**: كانت المدارس تقوم بدور المدارس الثانوية والجامعات والمعاهد العليا -كما يقال اليوم- وكانت تملأ العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، ومن أشهر تلك المدارس:

---

(١) الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ص ٢٤٠.
(٢) من روائع حضارتنا ص ١٢٩ و١٣٤.
(٣) المرجع السابق ص ١٣٠ – ١٣١

١- **المدرسة البيهقية في نيسابور:** يعود تاريخها إلى القرن الرابع الهجري[١].

٢- **المدرسة النظامية ببغداد:** بناها الوزير نظام الملك أبوعلي الحسن بن علي الطوسي في عام ٤٥٧ هجرية، ونسبت إليه[٢].

٣- **المدرسة النورية بحلب:** أنشأها الملك نور الدين محمود بن زنكي المتوفى سنة ٥٦٩ هجرية [٣].

٤- **المدرسة العادلية بدمشق:** شرع في بنائها نور الدين محمود زنكي، لكنه توفي قبل أن تتم، فقام بعده الملك العادل سيف الدين محمد بن نجم الدين الأيوبي، فأتم بناءها في العام ٥٧٨ هجرية[٤].

٥- **المدرسة الفاضلية بالقاهرة:** أقامها القاضي الفاضل أبوعلي عبد الرحيم البيساني المتوفى عام ٥٩٦ هجرية[٥].

٦- **المدرسة المؤيدية بتعزّ:** أنشأها السلطان الملك المؤيد في عام ٦٧١ هجرية[٦].

(١) معجم الأدباء ٣/٢٢٤ – ٢٢٥.
(٢) الوقف وبنية المكتبة العربية ص ٧٨.
(٣) المرجع السابق ص ٧٩.
(٤) الدارس في تاريخ المدارس ١/٣٦١.
(٥) الوقف وبنية المكتبة العربية ص ٨٠.
(٦) العقود اللؤلؤية ١/٤٤١ و٤٤٣.

٧- **المدرسة الشــهابية بالمدينة المنورة:** وهي من المدارس الكبيرة والشهيرة في القرن الثامن الهجري[١].

٨- **المدرســة النصرية في غرناطة:** وبنيت في القرن الثامن الهجري بمبادرة من الحاجب منصور النصري[٢].

٩- **مــدارس أخــرى:** إضافة إلى المدارس السابقة، هناك مئات من المدارس الأخرى التي توزعت في العالم الإسلامي، في العواصم والمدن، ومن ذلك: دار الحديث بدمشق التي درس فيها النووي وابن الصلاح والسبكي وكثير غيرهم[٣].

ومــنها: مــدارس القــيروان وتونس (العاصمة) التي بناها ووقفها أبوالحسن المريني[٤].

ومــنها: المدرسة الأفضلية، والمدرسة التنكزية، والمدرسة الأشرفية، والمدرسة الطازية، وكانت كلها في القدس في عصور مختلفة[٥].

رابعــاً: الحياة في المدارس: كانت تلك المدارس والمعاهد من أحسن الأماكن مظهــراً ورعايــة، وكان فيها قاعات للمحاضرات، وغرف للمدرسين، وأماكن

(١) الوقف وبنية المكتبة العربية ص ٨٦.
(٢) المرجع السابق ص ٨٧.
(٣) من روائع حضارتنا ص ١٣٠ – ١٣٢.
(٤) المعيار ٧/٣٣٥.
(٥) معاهد العلم في بيت المقدس ص ١١٦ و١٢١ و١٣٤ و١٥٨.

لـــلمطالعة والـــراحة، وفي بعضـــها مساكن للطلاب، ومساكن أخرى للموظفين والعـــاملين فـــيها، وأجنحة لتناول الطعام، وللطبخ، وفيها مخازن لادخار الأطعمة والمواد المختلفة(١).

وكـــان في مديـــنة دمشق وحدها أكثر من أربعمائة مدرسة، ضمّت آلاف الطـــلاب في مخـــتلف المراحل التعليمية، يجلس فيها ابن الفقير إلى جانب ابن الغني، ينهلون من علوم الشريعة والعربية، والطب والفلك والصيدلة والرياضيات(٢).

ولا تـــزال آثار تلك المدارس باقية في عامة المدن الإسلامية، في مكة والمدينة، والقـــدس ودمشـــق، والقاهـــرة وتونس والمغرب، وفي بغداد واسطنبول، وبخارى ونيسابور، وغيرها من مدن آسيا الوسطى وإيران والهند(٣).

خامســـاً: تمويـــل المدارس: كان الواقفون لهذه المدارس يتسابقون في الإنفاق علـــيها وعـــلى أساتذهما وطلابها وموظفيها، ومستلزماهما من أدوات وترميمات، وأطعمة ورواتب، ومياه ومرافق وغيرها، مما يؤمّن الظروف اللازمة لاستمرار وتنمية العملـــية التعليمية في مختلف التخصصات، حتى توافد غير المسلمين على بعض تلك المدارس في الأندلس (أسبانيا) وفي صقلية (جنوبي إيطاليا) وفي بلاد المغرب العربي، فضلاً عن مدارس بلاد الشام ومصر ... وكان الجميع يحصلّون العلم والمعرفة مجاناً

---

(١) المعـــيار ١٣٠/٧ و١٣٤ وجواهر العقود ٣٤٢/١ – ٣٤٨ ومن روائع حضارتنا ١٢٩ والوقف في العالم الإسلامي ص ٣٨ و٤٢ و٤٣ و٧٧.
(٢) من روائع حضارتنا ص ١٢٩ و١٣٠ و١٣٤ و١٣٦.
(٣) جواهر العقود ٣٤٢/١-٣٤٨ ومن روائع حضارتنا ص ١٢٩-١٣٠ و١٣٤.

دون مقابل[١]، بل كان بعض الواقفين يقفون على الأساتذة والطلاب الكتب والمراجع لتمكينهم من الدراسة والبحث العلمي، كما يقفون عليهم الكسوة والطعام[٢].

وقد خصصت لتلك المدارس والمعاهد أموال وقفية كثيرة نقدية وعينية، من العقارات والحوانيت والأراضي الزراعية والحمامات المؤجّرة، ونحوها من المرافق والمواقع التي تدرّ عوائد وأرباحاً مخصصة للمدارس الوقفية[٣].

وحسبنا دليلاً على كثرة أوقاف المدارس ونحوها في دمشق خاصة، أن الإمام النووي المتوفى سنة ٦٧٦ هجرية، لم يكن يأكل من فواكه دمشق طيلة حياته، لأن أكثر أراضيها الزراعية وبساتينها أوقاف، قد اعتدى عليها واغتصبها بعض الظالمين[٤].

سادساً: وقف المدارس اليوم: من عظمة هذا الدين أن وقف المدارس والمعاهد والجامعات لا يزال ناشطاً حتى اليوم، فكثيرة هي دور العلم التي قام الحكام والأهالي بإنشائها ورعايتها..

(١) جواهر العقود ١/٣٤٢-٣٤٨ ومن روائع حضارتنا ص ١٣٠-١٣١ و١٣٤ والوقف في العالم الإسلامي ص ٣٧ و٣٨.
(٢) المعيار ٧/١٣٠.
(٣) الوقف في العالم الإسلامي ص ٨٩ و٩٥ و٣٢١ و٣٢٤ والمعيار ٧/٣٣٤.
(٤) من روائع حضارتنا ص ١٣٦.

ومما ينبغي الإشارة إليه في هذا المقام: الجامعات والمعاهد والمدارس الوقفية الكثيرة الحكومية والأهلية المنتشرة في مدن وقرى المملكة العربية السعودية وفي غيرها من بلاد المسلمين، ومن الوقف الأهلي كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي ذات الصيت الشائع، والمعهد العالي لعلوم الشريعة بمدينة باتنة (بالجزائر) المشهور المعروف في عموم المغرب العربي، والمدرسة الكلتاوية والمدرسة الشعبانية بحلب (في سورية) اللتان تخرج منهما عدد من رجالات العلم والفكر، والجامعة الإسلامية التي أنشئت في عاصمة هولندا عام ١٩٩٨م بأموال وقفية من الجالية هناك. وغيرها كثير في عامة العواصم والمدن الإسلامية، حيث يقبل كثير من الحكام والأغنياء وعامة الناس، على الإسهام في إقامة الكليات والمدارس وبخاصة الشرعية، ابتغاء وجه الله تعالى، ورغبة في النهوض بأفراد الأمة، وتنميتهم ثقافياً وعلمياً وسلوكياً ...

سابعاً: دور المدارس الوقفية في التنمية: يتضح مما تقدم أن وقف المسلمين للمدارس بكافة أنواعها ومراحلها، أسهم إسهاماً كبيراً في حركة التنمية العلمية والثقافية، حيث توفرت للمعلمين والمتعلمين فرص الترقي والنهوض العلمي من خلال التفرغ للدراسة والبحث العلمي، اللذين كانا من الأسباب المهمة في إبداع المسلمين الحضاري على المستوى الإنساني، وبروز علماء ومشاهير سطعت أسماؤهم في سماء المعرفة الإنسانية، دراسة وبحثاً وتأليفاً وتصنيفاً وتحقيقاً وإبداعاً وتنظيراً وتأصيلاً وتخريجاً، لا فرق في ذلك بين العلوم الشرعية والعربية والنظرية والعملية.

ومـــن هؤلاء: أصحاب المذاهب الفقهية، وعلماء آخرون فقهاء كأبي يوسف القاضي، وسحنون المالكي، والنووي الشافعي، وابن تيمية الحنبلي.

ومن مشاهير العلماء المحدثين: أصحاب الكتب الحديثية الستة وغيرهم.

ومـــن مشاهير العلماء الأدباء واللغويين: أبوتمام والبحتري والمتنبي والجاحظ وابن المقفع وغيرهم من أهل اللغة والأدب.

وهـــناك آخرون في العلوم الاجتماعية والطبيعية والرياضيات والفلك والطب والصـــيدلة، مـــن أمثال الطبري والبلاذري وابن الأثير وابن خلدون، والإدريسي والخوارزمـــي وياقوت الحموي، والبيروني والحسن بن الهيثم والكندي، والطوسي وعمر الخيام، وابن سينا والرازي، وغيرهم كثير ممن أسهم في نموالحضارة الإسلامية وازدهارها، بحيث غدت حضارة إنسانية ينعم الجميع بفضائلها الفكرية والثقافية..

المبحث السادس

وقف المكتبات ودوره في التنمية الثقافية والعلمية

للكتاب دور متميز في التنمية الثقافية والعلمية والارتقاء بالفكر البشري، وقد أدرك الواقفـــون أهمية ذلك فاتجهوا إلى وقف المكتبات، وملؤوها بالكتب النافعة في أصناف العلوم الإنسانية والتطبيقية، وقلّ أن يجد المرء بلدة إسلامية ليس فيها مكتبة وقفـــية خاصة أوعامة، أما العواصم الإسلامية فقد كثرت فيها دور الكتب بشكل

لامثيل له في تاريخ العصور الوسطى، وتسابق الخلفاء والحكام والعلماء والأغنياء في وقف المكتبات والكتب، إما بصورة رسمية عامة، وإما بصورة فردية خاصة، وكان ذلك على النحوالتالي:

أولاً: المكتبات العامة المستقلة: من المكتبات العامة المشهورة المستقلة:

مكتبة بيت الحكمة ببغداد في القرن الثاني الهجري، حيث حظيت بعناية عدد من الخلفاء العباسيين، وإن كان المأمون أكثرهم اهتماماً بها، وتنمية لموجوداتها[١].

ومن ذلك دار العلم في الموصل، أنشأها ابن حمدان الموصلي بدعم وتأييد من حكام ووزراء عصره في حوالي عام ٢٧٠ هجرية[٢].

ومن المكتبات العامة: دار العلم في البصرة، ودار العلم في بغداد، وبيت الكتب بالري، ودار الحكمة في القاهرة، ودار الكتب في فيروز آباد، وخزانة الوزير المغربي في منطقة الجزيرة في الشام، وخزانة الكتب بحلب[٣]، ومكتبة الحكم بالأندلس، ومكتبة بني عمار في طرابلس الشام، ومكتبة الفتح بن خاقان ببغداد في زمن الخليفة العباسي المتوكل، ومكتبة بني جرادة[٤].

ومن المكتبات العامة أيضاً: دار الكتب في مدينة ساوة وتقع اليوم في شمالي إيران، ومكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة، وهي لا تزال تؤدي

(١) بيت الحكمة ص ٣٧ – ٣٨.
(٢) تاريخ الموصل ١/١٩٢.
(٣) الوقف وبنية المكتبة العربية ص ٣٦-٤٧.
(٤) من روائع حضارتنا ص ١٥٧-١٥٩.

رسـالتها إلى اليوم، ويقصدها الباحثون وطلاب العلم والمعرفة من أماكن عديدة، رغبة في مخطوطاتها النفيسة[١].

ثانـياً: مكتـبات المساجد: حظيت المساجد باهتمام فريد في شتى العصور الإسـلامية، ومن مظاهر ذلك أن وقفت فيها المصاحف والكتب الدينية -بشكل خـاص- لتحقيق مزيد من التنمية الروحية والارتقاء الديني والسلوكي والمعرفي في عمـوم الأفراد الذين يترددون عليها، وغدا لكثير من المساجد مكتبات خاصة بها، وقفها المحسنون من الحكام والقضاة والأغنياء وأهل العلم، بل شارك في وقفها كثير من الأفراد العاديين.

ومـن هذه المكتبات: مكتبة جامع آمد في ديار بكر -بتركيا اليوم- ومكتبة جـامع أبي حنيفة ببغداد، وأنشئتا في القرن الخامس الهجري، ومكتبة الجامع الأزهر بالقاهرة، ومكتبات جامع نيسابور، وجامع حلب، وجامع الزيدي ببغداد، وجامع أصفهان، ومكتبة المسجد النبوي التي أنشئت في القرن السادس الهجري، ومكتبات الجامع الأموي بدمشق، ومسجد الرضواني في تعز باليمن، وجامع الزيتونة بتونس، ومكتبة الحرم المكي[٢]، ومكتبة جامع غرناطة بالأندلس[٣].

---

(١) الوقف وبنية المكتبة العربية ص ٤٨ و٥٢.
(٢) المرجع السابق ص٦٦- ٧٥.
(٣) المعيار ٧/٢٢٧.

وكـــان معظم مكتبات المساجد يشتمل على نسخ مخطوطة فريدة من القرآن الكـــريم، بعضها مكتوب بالذهب[١]، إضافة إلى المؤلفات العلمية المتنوعة الكثيرة، وبخاصـــة مـــا يتصل بعلوم القرآن والحديث والفقه والعربية.. التي يستفيد منها مرتادوالمســـاجد، وبخاصة الطلاب الذين يحصلون العلم والمعرفة أثناء ترددهم على حلقات العلم في المساجد والجوامع[٢].

ثالثاً: مكتبات المدارس: اهتم واقفوالمدارس بتوفير أكثر عدد ممكن من الكتب التي تعضد العملية التعليمية، وذلك رغبة في تكوين ثقافة واسعة راقية متنامية، تعود بالفائدة على المعلم والمتعلم والمجتمع.

ومـــن هـــنا نشأت المكتبات الوقفية الكثيرة الملحقة بالمدارس الوقفية، ثم كان للفضـــلاء من الحكام والعلماء والقضاة والأثرياء وطلاب العلم مشاركات لاحقة، أضافت كتباً متميزة إلى مكتبات المدارس عن طريق شرائها من الأسواق ووقفها في تلك الأماكن[٣].

ومـــن مكتبات المدارس التي وجدت عبر العصور الإسلامية: مكتبات مدارس الأمير أبي الحسن المريني، الذي وقف كتباً كثيرة ومتنوعة على المدارس التي بناها في مدينتي تونس والقيروان[٤].

(١) الخطط المقريزية ٢/٢٥٠ و٢٦٧.
(٢) تاريخ الجامع الأزهر في العصر الفاطمي ص٨٨ وسير أعلام النبلاء ٢٠/٥٠٩.
(٣) الوقف وبنية المكتبة العربية ص٧٧.
(٤) المعيار ٧/٣٣٥.

ومنها: مكتبات المدرسة البيهقية في نيسابور، والمدرسة النظامية ببغداد، والمدرسة النورية في حلب، والمدرسة الفاضلية بالقاهرة، والمدرسة العمرية بدمشق،والمدرسة الشهابية بالمدينة المنورة، والمدرسة النصرية في غرناطة، ومدرسة أعظم شاه في مكة المكرمة، ومدرسة السلطان الأشرف في تعز باليمن، ومدارس أخرى كثيرة انتشرت في أصقاع العالم الإسلامي، مشرقه ومغربه، بل كان يوجد في المدينة الواحدة أكثر من عشر مدارس، لكل منها مكتبة خاصة بها، تشتمل على مئات بل ألوف الكتب المخطوطة النفيسة، في شتى العلوم والفنون والثقافات[1].

رابعاً: مكتبات المستشفيات: تجاوز وقف الكتب والمكتبات عند المسلمين دور الكتب العامة والمساجد والمدارس، فأقدموا على وقف المكتبات في داخل المستشفيات (البيمارستانات) [2] التي كانوا يقيمونها.

ومن تلك المكتبات الوقفية مكتبة مستشفى أحمد بن طولون في القاهرة سنة ٢٥٩ للهجرة الذي كان فيه خزانة كتب فيها أكثر من مائة ألف مجلد، في علوم الطب وفي غيره من التخصصات[3].

ومن ذلك مكتبة المستشفى العضدي ببغداد الذي أنشأه عضد الدولة البويهي في القرن الرابع الهجري، وألحق به مكتبة كبيرة[4].

---

(١) الوقف وبنية المكتبة العربية ص٧٧-٩٢.
(٢) هذه الكلمة فارسية الأصل وتلفظ أيضاً (المارستانات) وكانت معروفة ومنتشرة على مدى قرون طويلة في أرجاء العالم الإسلامي، ويراد بها: المصحات أوالمستشفيات. انظر المعجم الوسيط: مادة ((مرس)) وتاريخ البيمارستانات في الإسلام ص٤.
(٣) النجوم الزاهرة ٤/١٠١ وتاريخ البيمارستانات في الإسلام ص٧١.
(٤) المكتبات في الإسلام ص١٤٥.

ومـــنها: مكتبة مستشفى نور الدين الزنكي بدمشق، وكان فيها خزانتان من الكتب أكثرها في العلوم الطبية[١].

ومنها: مكتبة المستشفى المنصوري في القاهرة التي احتوت على كتب كثيرة، مـــنها كتب العالم المعروف بابن النفيس، المتوفى في سنة ٦٨٧ للهجرة، الذي وقف جميع كتبه على هذا المستشفى الذي كان يعمل فيه[٢].

خامســـاً: مكتبات الزوايا والربط والخانقاهات[٣]: انتشر بناء هذه الأماكن ووقفها في القرن الرابع الهجري، وكان ممن يأوي إليها: الزهاد وأهل العلم وطلابه الراغبون في التخلي من أجل مزيد من التعبد[٤].

وكان كثير من هذه الأماكن يشتمل على مكتبات وقفية للمطالعة والبحث، ومن ذلك: الرباط الطاهري ببغداد، الذي أنشأه الخليفة العباسي الناصر لدين الله في عام ٥٨٩ للهجرة، ووقف فيه كتباً كثيرة كانت من أحسن الكتب[٥].

(١) الدارس في تاريخ المدارس ٢/١٣٨.
(٢) عيون التواريخ ٢١ / ٤٢٩.
(٣) الـــزوايا: جمع زاوية، والربط: جمع رباط، والخانقاهات: جمع خانقاه، وهي أماكن كان يأوي إليها العباد والزهاد والفقراء، وانظر: المعجم الوسيط: (زواه) و(ربط) و(خنق).
(٤) الخطـــط المقريـــزية ٢/٤١٤ و٤٢٧. ومن المعلوم أنه لا حرج شرعا في هذه الأمور إذا خلت من البدع والمآخذ الشرعية.
(٥) الكامل في التاريخ ١٢/١٠٤.

ومـــن ذلك: مكتبـــة رباط المأمونية ببغداد، ومكتبة رباط ربيع بمكة في القرن السابع الهجري، ومكتبة رباط عثمان بن عفان بالمدينة، ومكتبة خانقاه السميساطية بدمشق في القرن السادس الهجري وغير ذلك كثير[1].

وكانت هذه المكتبات تشتمل على الكتب المخطوطة النفيسة، في شتى العلوم والفنون والثقافات، وبخاصة كتب العلوم الشرعية والعربية[2].

سادساً: مكتبات المقابر والترب: عمد بعض الواقفين إلى إنشاء مكتبات قرب أســـوار المقابر والترب، حيث يتردد عليها الناس في طريقهم لزيارة القبور والاعتبار بالموتى، والاستراحة بعض الوقت في تلك الأماكن[3].

ومن ذلك: مكتبة تربة أم الخليفة في بغداد في عام ٥٨٤ للهجرة، وكانت على شـــاطئ نهر دجلة، واشتملت على مئات الكتب النفيسة المتنوعة ومكتبة تربة ابن البزوري بدمشق، ومكتبة التربة المنصورية بالقاهرة، ومكتبة تربة أوغلي في اسطنبول وغيرها كثير [4].

ســـابعاً: مكتبات وكتب أخرى وقفية: انتشر وقف الكتب بين كافة فئات المجـــتمع الإسلامي على امتداد القرون، فكان بعض الناس يقفون كتبهم في بيوتهم،

(١) الوقف وبنية المكتبة العربية ص١٠٨- ١١٣.
(٢) المرجع السابق ص ١٠٨- ١١٣.
(٣) ومـــن المعلـــوم أنـــه لا حـــرج شرعا في بناء هذه المكتبات بعيدا عن المقابر إذا لم يكن لها صلة بالبدع والغلوالمرفوضين شرعا.
(٤) المـــرجع السابق ص١١٤- ١١٥. وقد نسبت كل مكتبة من هذه المكتبات للمقبرة القريبة منها في ذلك المكان أوالحي.

ويفـــتحونها أمام القراء في أوقات محددة، وكان بعضهم يخط الكتب بيمينه ليقفها على طلاب العلم والمعرفة، وكان آخرون يشترون الكتب أويستأجرون من يخطها لهم، ليقفوها على أهل العلم وطلابه.

ومـــن ذلك: أن أبا قاسم جعفر بن محمد الموصلي كان له دار في الموصل فيها مكتـــبة، لا يمنع أحداً من دخولها في كل يوم، فإذا جاءه غريب زوده بما يحتاج إليه من ورق ومال [١].

ومـــن ذلك: أن الفقيه اليمني أحمد بن أبي السعود كان يعمد إلى نسخ الكتب بيده، وإلى شراء كتب أخرى، ثم وقفها جميعها عل طلبة العلم والمعرفة[٢].

وقـــد أسهم في هذا النوع من وقف الكتب، الأغنياء والتجار والفقراء، فقد حكـــي أن محمداً بن داود الموصلي المتوفى سنة ٧٢٨ للهجرة، كان تاجراً قادراً في القطن، وكان يقف الكتب الكبار في خدمة العلم وطلابه[٣].

أمـــا رشـــيد بن عبد الله السعدي المتوفى عام ٧٢٠ للهجرة، فكان خادماً في المسجد الحرام، وكان يصحب العلماء، ويشتري لهم كتب العلم ويوقفها عليهم[٤].

(١) من روائع حضارتنا ص ١٥٦.
(٢) العقود اللؤلؤية ١/١٢٢.
(٣) الدرر الكامنة ٤/٥٧.
(٤) التحفة اللطيفة ٢/٦٤.

ولم تمنع قلة الدخل محمد بن ناصر البغدادي من علماء بغداد من شراء الكتب ووقفها على العلماء وطلبة العلم لينتفعوا بها [١].

تنظيم وإدارة المكتبات: خضعت المكتبات الوقفية لأسلوب علمي متقدم في الإدارة والتنظيم، حيث كان لكل مكتبة مسؤول يسمى خازن المكتبة (أمين المكتبة) الذي ينبغي أن يتصف بالعلم والأمانة والكفاءة ونحوها من الصفات اللازمة[٢].

وكان للمكتبة مناولون يناولون الكتب للمطالعين، وهناك مترجمون، يترجمون الكتب غير العربية إلى العربية، إضافة إلى النساخ والمجلدين والخدم وغيرهم من الموظفين والعاملين الذين تستلزمهم حاجة المكتبة [٣].

وكان لكل مكتبة فهارس يرجع إليها لتسهيل استعمال الكتب، وهي مصنفة تصنيفاً علمياً موضوعياً، وبجانب هذا كانت توضع قائمة على كل دولاب، تحوي أسماء الكتب الموجودة في الدولاب[٤].

وكانت المكتبات تفتح أبوابها يومياً من بعد شروق الشمس إلى ما قبل غروبها، وكانت تعطل في يومي الثلاثاء والجمعة وفي الأيام الثلاثة الأولى من الأعياد [٥].

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/١٢٩٠.
(٢) الوقف وبنية المكتبة العربية ص ١٤٧- ١٤٩.
(٣) من روائع حضارتنا ص ١٥٦.
(٤) المرجع السابق ص ١٥٦.
(٥) مجلة المنهل ص ١٩٤ العدد ٤٨٩ شهر المحرم ١٤١٢هـ.

وكانـــت أمـــوال الأوقـــاف تستمر في الإنفاق على المكتبات والموظفين والكتب المخطوطـــة، وما تحتاجه من تجليد ورعاية وصيانة[١].

هـــذا، ولا تـــزال المكتـــبات الرسمية والأهلية في كثير من المدن والجامعات والمســاجد والمـــدارس، وكثير من بيوت المسلمين، في بلاد الحرمين الشريفين وفي غيرها من البلاد الإسلامية، تقوم بدورها الريادي في تحقيق مزيد من العلم والمعرفة لعامة الناس وخاصتهم من أساتذة وطلاب وطالبات وباحثين ومثقفين.

دور المكتـــبات الوقفية في التنمية: يتبين مما سبق مدى ما للمكتبات الوقفية قديمـــا مـــن إسهام جوهري، في تحقيق مزيد من الارتقاء الفكري والتنمية الثقافية والعلمية، وبخاصة إذا استحضرنا غلاء قيمة الكتاب، الذي كان يخط باليد وقتذاك، مع ندرة النسخ المخطوطة في الأسواق.

وهكـــذا فتحـــت المكتـــبات الوقفية القديمة والحديثة أبوابها للجميع، تيسيراً لـــلمعرفة، وإشاعة للعلم، وتمكيناً من أسبابه وأدواته، لأنه لا يكفي الاقتصار على وقف المساجد والكتاتيب والمدارس ونحوها من مصادر الإشعاع المعرفي والثقافي، بل لا بـــد مـــن تيسير الحصول على المراجع للدراسة والبحث والتأليف، وتوفير المادة العلمية والثقافية -بيسر وسهولة- للمعلم والمتعلم والمثقف وغيره، وتزويدهم بكل جديـــد، وتعريفهم على الأفكار والآراء المدونة، للمؤلفين والباحثين والمفكرين في كل أرجاء العالم الإسلامي.

---

(١) الوقف وبنية المكتبة العربية ص ١٦٢.

المبحث السابع

الدور المعاصر لاستثمار الوقف في التنمية الثقافية والعلمية

قامــت الأوقــاف الإسلامية بدور هام في حياة المسلمين، وخاصة المجالات الثقافــية والعلمــية التي نحن بصددها، حيث وفرت الحياة الكريمة الآمنة للطلاب والأساتذة والعلماء بعيداً عن الضغوط والمؤثرات والتبعية الفكرية للجهات الرسمية، ولهــذا لا يوجد ذكر لديوان التعليم (وزارة التعليم) في الدول الإسلامية في العصور الماضــية، بل في العصور التي يطلق عليها (عصور الانحطاط) وذلك لأن الأوقاف كانــت كــثيرة جــداً، ونشــيطــة جــداً، وبخاصة في ميادين ومجالات التعليم والبحث العلمي.

ولــلمرء -بعــد هذا- أن يتساءل: ما الذي آل إليه ذلك الوقف العظيم من أمــوال المســلمين عــلى امتداد العصور؟ وما الدور المناط بــه في وقتنا الحاضر؟ وبخاصــة في المجالات التنموية الثقافية والعلمية والبحثية؟.

أولاً: الممتلكات الوقفية المعاصرة: تشير الإحصاءات المعنية بالوقف، إلى أنه توجد في البلاد الإسلامية كافة ثروة وقفية هائلة، خلفها السابقون على هيئة أموال وممتلكات ثابتة وغير ثابتة (عقارات ومنقولات) (١).

(١) إدارة وتثمير ممتلكات الأوقاف ص ١٨٦ و٢١٥ و٣٣٩ والوقف في العالم الإسلامي ص ٦٤.

ومن الأمثلة على ذلك: أن ثلث أراضي الدولة العثمانية كان موقوفاً على البر والخير، ومن تلك الأراضي أماكن وعقارات كثيرة في فلسطين والأردن. بل إن الوثائق والمستندات المحفوظة تفيد بأن السكة الحديدية التي مدت من اسطنبول (عاصمة الدولة العثمانية سابقاً) إلى المدينة المنورة، لتسهيل الحج والعمرة، ولخدمة المسلمين، كانت من مال الوقف، بل وقف معها الأراضي المجاورة لها من الجانبين، من كل جانب مائة متر [١].

ومن ذلك: أن الوقف على جامع القرويين (في المغرب) كان ينافس في عوائده ميزانية الدولة نفسها في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وذلك بما كان له من جليل العقار وفسيح الغابات، حتى اضطرت الدولة في بعض حالات الحرب إلى الاستعانة بأموال الوقف وعوائده [٢].

وعندما شبت الحرائق في سجلات مدينة فاس (في المغرب) عام ٧٢٣ للهجرة = ١٣٢٣ للميلاد، لم يتردد قاضي المدينة في ضم أملاك مدينة فاس كلها للجامع، ولم يستثن من ذلك الضم إلا من تقدم بوثيقة أوشهادة تثبت الملكية، وتكرر نحوهذا الموقف فيما بعد عندما تعرضت المدينة لظروف أخرى طارئة [٣].

(١) إدارة وتثمير ممتلكات الأوقاف ص ٣٣٩ – ٣٤٠ والوقف في العالم الإسلامي ص ٨٢.
(٢) الوقف في العالم الإسلامي ص ٦٤.
(٣) الوقف في العالم الإسلامي ص٦٤.

ومن الأمثلة أيضاً: ما قام به المحسنون السابقون في تونس، من وقف الأراضي الكثيرة الممتدة على الشواطئ التونسية، ووقفوا معها ما تشتمل عليه من ثروة سمكية[1].

ومن ذلك: وقف عدد كبير جداً من القرى والعقارات في بلاد الشام، وما تشتمل عليه من مساكن وأراضي زراعية، وآبار وأشجار ... [2]. إضافة إلى وقف أحياء بكاملها لا حصر لها في بلاد الشام وفلسطين ومصر والحجاز ... [3].

ومن الممتلكات الموقوفة: مئات الآلاف من الدنانير الذهبية، وكذا وقف عوائد (إيجارات وأرباح) الحمامات والخانات والأسواق، والسفن العظيمة، المعدة لنقل الركاب وشحن البضائع.. [4].

وقد ضمت جميع الأموال الوقفية السابقة إلى وزارات الأوقاف التي نشأت حديثاً في عامة الدول الإسلامية، والتي تعتبر من أغنى الوزارات الحكومية.

هذا، ويضاف إلى هذه الأموال الوقفية التي خلفها السابقون التبرعات التي تقوم بها شخصيات اعتبارية معاصرة كالأوقاف الصادرة عن الشركات والمؤسسات

---

(١) المرجع السابق ص١٣. وهذا النوع من وقف الأسماك مما هومقدور عليه بحسب العادة الملاحظة في تلك الشواطئ ونحوها.
(٢) المرجع السابق ص٧١-٧٢.
(٣) المرجع السابق ص٦٩-٧١.
(٤) المرجع السابق ص٧٩ و٨٨-٩٦ و١٤٠ و٣٢١. والخانات: كما هومعروف منتشرة في تركيا ومصر وسوريا. جمع خان، وهوبناء ضخم في وسطه ساحة مكشوفة، يشتمل الطابق الأرضي منه على الدكاكين والمحال التجارية، وتضم الطوابق العليا منه غرفا كانت تقوم بوظيفة الفنادق اليوم. وانظر: المعجم الوسيط: مادة: خان.

الحكومـــية والأهلـــية، فضلاً عن التبرعات الكثيرة الشخصية التي يقفها الأشخاص العاديون من عامة الناس، والتي تتجلى في صور أموال منقولة وأموال غير منقولة[1].

وهكـــذا يمكـــن القول بأن مظاهر الأموال الوقفية المعاصرة تتجلى في ثلاث صور:

١- التبرعات الوقفية القديمة، وهي لا تزال كثيرة جداً.

٢- التبرعات الوقفية المعاصرة الصادرة عن المؤسسات والشركات ونحوها.

٣- التبرعات الوقفية المعاصرة الصادرة عن الأفراد العاديين من عامة الناس.

ثانـــياً: الطـــرق المعاصرة لاستثمار وتنمية الممتلكات الوقفية: نظراً لكثرة الأموال الموقوفة قديماً وحديثاً، فقد درست عدة جهات إسلامية، الصيغ والوسائل المعاصـــرة الأجدى في استثمار وتنمية هذه الثروة الوقفية الهائلة، الموجودة في دول العـــالم الإسلامي، وقد شارك في هذه الندوات والدراسات مندوبون عن وزارات الأوقـــاف، وعدد من البنوك الإسلامية، والجهات والمراكز الإسلامية الخيرية، وقد توصل المجتمعون في جدة -بعد اجتماعات عديدة كان آخرها في ١٩٨٣/١٢/٢٤ للميلاد- إلى توصيات متنوعة منها ما يلي:

إن أفضل السبل لاستثمار الممتلكات الوقفية حتى الآن هي:

---

(١) مجلة الوعي الإسلامي ص ٢٥ العدد ٣٩٨ لشهر شوال ١٤١٩ هجرية.

١- عقد الاستصناع[١].

٢- عقد المشاركة المتناقصة المنتهية بالتمليك[٢].

٣- قيام البنوك الإسلامية باستثمار الممتلكات الوقفية في الدول التي هي في حاجة إلى استثمار.

٤- قيام وزارات الأوقاف التي تملك فائضاً مالياً في استثمار أموالها في بلدان إسلامية أخرى هي في حاجة إلى أموال لاستثمار أوقافها.

٥- دعوة الحكومات إلى توفير الضمانات الكافية لهذه الاستثمارات، وحمايتها وإعفائها من الضرائب[٣].

وفضلاً عن هذه التوصيات والمقترحات المعاصرة، هناك طرق أخرى نص عليها الفقهاء، وكان معمولاً بها في مجال استثمار وتنمية مال الوقف، ومن ذلك:

١- تأجير الوقف: سواء كان محالاً تجارية أومهنية، أوحمامات، أومصابن لصنع الصابون، أوكان سُفناً وقفية [٤]... مع مراعاة شروط الواقف.

---

(١) الاستصناع: عقد على مبيع في الذمة مطلوب صنعته بأوصاف وشروط متفق عليها، انظر: بدائع الصنائع ٥ / ٢.

(٢) هي من الأساليب المشروعة التي استحدثتها البنوك الإسلامية، انظر حقيقتها ومشروعيتها وصورها في: أدوات الاستثمار الإسلامي ص ١٠٥.

(٣) إدارة وتثمير ممتلكات الوقف ص ٤٥٤ - ٤٥٥.

(٤) روضة الطالبين ٥/٣٢٩ ــ٣٣٠و٣٤٨ و٣٥١ والوقف في العالم الإسلامي ص٩٥و١٤٠و٣٢١و٣٢٤.

٢- **المضـــاربة بمـــال الوقف**: وهذا فيما يقبل المضاربة من الأموال الموقوفة[١]، مع مراعاة شروط الواقف.

٣- **المزارعة والمساقاة بالوقف**: إذا كان يقبل ذلك [٢].

٤- **تســـليف الوقـــف وإقراضه**: وهوما قال به المالكية وآخرون في الأثمـــان الموقوفة، كالذهب والفضة والنقود التي توقف لتسليف الفقراء وذوي الحاجات[٣].

٥- **بـــيع الوقف**: إذا تعين ذلك وكانت المصلحة، أوبيع ما يقبل البيع من غلات الوقف وثماره[٤].

ثالثا: نماذج معاصرة في تنمية الممتلكات الوقفية: تفاعلت العديد من الجهات المشرفة على الأوقاف مع التوصيات والمقترحات الداعية إلى تنمية واستثمار الوقف حـــتى لا يـــتآكل أوينضـــب، بل يتابع وظيفته ودوره في بناء المجتمعات الإسلامية والنهوض بها، وكان من أثر هذا التفاعل في السعودية والكويت والإمارات العربية والأردن ومصر وتركيا والسودان والعراق وغيرها. مايلي:

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣١/ ٦٩ -٧٠.
(٢) المرجع السابق ٣١ / ٦٩ و٢٦٢ وإدارة وتثمير ممتلكات الأوقاف ص ٣٩٠.
(٣) جواهر الإكليل ١/١٣٦ ومجموع فتاوى ابن تيمية ٣١/٢٣٤-٢٣٥ **قلت**: وبناء على جواز وقف النقود عـــند هـــؤلاء، فمـــن الممكن اليوم التوسع في استثمارها أوبعضها في البنوك الإسلامية بالطرق المشروعة العديدة المتنوعة، لما لهذا الاستثمار من دور كبير في تنمية أموال الوقف، وإلى نحوهذا الاتجاه ذهبت بعض المؤسســـات الوقفـــية في السعودية والكويت والأردن وجمهورية السودان...كما هومذكور في النماذج المعاصرة أعلاه.
(٤) جواهر الإكليل ٢ / ٢٠٨ - ٢٠٩ ووجموع فتاوى ابن تيمية ٣١ / ٦٩ -٧٠.

١- القيام بمشاريع إنمائية كإنشاء عمارات سكنية وأسواق تجارية، ومطابع، ومخازن، وكراجات، ومحطات بترين، وحوانيت تجارية وفنادق سياحية، ومستشفيات، وذلك للاستفادة من عوائد الأموال الموقوفة، ولتحقيق النماء والازدهار، ولتخفيف بعض الأزمات كأزمة السكن[١].

٢- الإسهام في تأسيس وإنشاء بنوك إسلامية، تنمية للسيولة النقدية الهائلة المتحصلة من مال الوقف، وخدمة للاقتصاد، وتحقيقاً للازدهار الاجتماعي[٢].

٣- المشاركة في تأسيس شركات للمزارع السمكية، وللسكر، وللثروة الحيوانية، وللحديد والصلب، وللألبان[٣].

رابعاً: نماذج معاصرة في دور الوقف في التنمية الثقافية والعلمية: لا يزال الوقف الإسلامي - في عصرنا الحالي- يؤدي دوره المشهود في مجالات التنمية الثقافية والعلمية، وإن كان ينتظر أن يكون له دور أكبر يضاهي دوره السابق في العصور الإسلامية الزاهرة. ومن النماذج لدور الوقف في التنمية الثقافية والعلمية في بعض الدول الإسلامية ما يلي:

---

(١) إدارة وتثمير ممتلكات الأوقاف ص ٣٢٦و٣٣٥و٣٤٠-٣٤١و٣٩٠و٣٩٧.
(٢) المرجع السابق ص ٣٣٥ و٣٤١ و٣٩٧.
(٣) المرجع السابق ص ٣٣٥ و٣٤٠-٣٤٠.

١- إعمـــار المســـاجد والإنفاق على مستلزماتها في العواصم والمدن والقرى الإسلامية، بل وفي البلدان الأخرى في قارات آسيا وإفريقية وأوروبـــا وأمـــريكا وأســـتراليا، وذلك بجهود وتمويلات رسمية حكومـــية، أوخاصـــة أهلية، كما تشهد بهذا الأخبار المتواترة التي تبثها الصحف والمجلات والقنوات الفضائية[١].

٢- إنشاء المدارس والكليات الشرعية والعامة والمعاهد الصناعية للبنين والبـــنات، لتعليم العلوم النافعة ومهن النجارة والحدادة والكهرباء والزخرفة والنقش وصناعة السجاد وأشغال الإبرة [٢]. وكثيرة هي المدارس الشرعية القائمة على إسهامات الأوقاف القديمة والحديثة، ســـواء كانت هذه المدارس بجهود حكومية رسمية، أوبجهود أهلية خاصة، بإشراف أهل العلم وذوي الثراء والخير والإحسان.

٣- إقامـــة المكتبات الوقفية العامة منها والخاصة، كمكتبات المساجد والمدارس الشرعية ونحوها.

٤- إنشـــاء المجـــلات الإسلامية الدعوية والعلمية والثقافية ونحوها مما يصدر عن وزارات الأوقاف أو الجهات الوقفية الخاصة [٣].

---

(١) وانظر أيضاً إدارة وتثمير ممتلكات الأوقاف ص٣٢٦و٣٤١و٣٤٢و٤٠٢و٤٣٩.
(٢) المرجع السابق ص٣٣٤ ومجلة الوعي الإسلامي ص٣٥ عدد شهر ذي القعدة برقم٣٩٩ لعام ١٤١٩هـــ.
(٣) مـــن الـــنوع الأول: مجلة الوعي الإسلامي الكويتية ومجلة البحوث الفقهية السعودية وغيرهما. ومن النوع الثاني: مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي، ومجلة الأسرة الصادرة عن الوقف الإسلامي بهولندا.

٥- طبع الكتب العلمية والدعوية والثقافية وتوزيعها على الناس لتحقيق مـــزيد مـــن الوعي الديني والتنمية المعرفية، وللإعانة على الدراسة والبحث العلمي[١].

خامساً: مجالات تنموية ثقافية علمية تنتظر مزيداً من الرعاية: لا تزال هناك مجالات معاصرة تنتظر مزيداً من الرعاية الوقفية، ومن هذه المجالات التي أقترحها ما يلي:

١- تمويل برامج إسلامية على شبكة (الانترنت) مهمتها التعريف بالإسلام وفضـــائله ومزاياه، ومقاومة المدّ الإلحادي والصليبي واليهودي الذي يشوّه الإسلام ويسيء إلى المسلمين ...

٢- إنشـــاء وكالة أنباء إسلامية ثقافية علمية تزوّد المسلمين بالاختراعات والابتكارات في العلوم والمعارف والثقافات المفيدة.

٣- إقامـــة قـــنوات تلفزيونـــية ومحطات إذاعية، تبشّر بالإسلام وتعرّف بأحكامه وفضائله، وتحصّن المسلمين من الشبهات الفكرية، وتحقّق لهم مـــزيداً مـــن التحصيل الثقافي والعلمي الذي يفيدهم في أمور دينهم ودنياهم.

---

(١) ومن هذا ما تفعله الجهات الوقفية الرسمية والخاصة في السعودية وقطر وغيرهما.

٤ - إنشاء مطابع ودور للنشر، تشجع طبع الكتب المفيدة وتوزيعها وترجمتها إلى اللغات الأخرى، وذلك بأجور وتكاليف مناسبة.

٥ - إصدار صحف يومية من مال الوقف؛ لتتابع الأحداث أولا فأولا فأولاً، وتدرسها وتحللها من منظور إسلامي ...

٦ - إنشاء مراكز وقفية للبحث العلمي، والإنفاق على الباحثين ومستلزماتهم، في شتى المجالات الثقافية والعلمية، وبخاصة المجالات الشرعية والدعوية.

٧ - تمويل عمليات شراء المخطوطات القديمة واسترجاع المغصوب منها في الدول الأخرى، وذلك للعمل على رعايتها وطبعها ونشرها.

٨ - إقامة معارض للكتب العلمية والثقافية، لتحقيق مزيد من تبادل الرأي، وإتاحة الفرصة لالتقاء طلاب العلم والمفكرين والمؤلفين، فضلاً عن توفير مصادر وأدوات ومراجع البحث العلمي بأسعار ميسورة.

٩ - الإكثار من المؤتمرات والندوات العلمية والثقافية التي تخدم الإسلام، وتسهم في دراسة مشكلات المجتمعات الإسلامية وحلّها.

١٠ - طبع أشرطة الفيديو، والكاسيت وتوزيعها مجاناً، أوبيعها بأسعار ميسورة، لنشر الثقافة الإسلامية والقيم الأخلاقية.

١١- الإســـهام في تمويل الجامعات من مال الوقف، وصرف المكافآت التشجيعية للأساتذة والطلاب المتميزين، والإنفاق على مستلزمات الجامعات البحثية ...

١٢- ابـــتعاث الطـــلاب المتميزين والجادّين والإنفاق عليهم من مال الوقـــف؛ لتحصـــيل مـــزيد من التخصصات العالية والنادرة التي تحتاجها المجتمعات الإسلامية، ويكون ذلك إما على سبيل المنحة، وإما على سبيل القرض الحسن الذي يستردّ تدريجياً فيما بعد.

١٣- بـــناء مساكن للطلاب والمدرسين والمؤذنين والخطباء، لإسكانهم مجاناً، أوبأجور ميسّرة.

١٤- تمويـــل رحلات مجانية أوبمبالغ رمزية للعلماء والأساتذة والطلاب، بهدف الاتصال بالأماكن العلمية والأثرية ونحوها، أوتنظيم رحلات إلى الحج والعمرة ...

١٥- الإكـــثار مـــن إقامـــة المساجد والمراكز الإسلامية في البلاد غير الإســـلامية، لتسهم في حفظ هوية الجاليات الإسلامية وأبنائهم، وإنشـــاء المـــدارس لهم، وطبع الكتب وإقامة الدورات التثقيفية، واستقدام العلماء والمفكرين المسلمين لدراسة مشكلاتهم وحلّها.

١٦- إهـــداء مكتبات إسلامية كاملة للدول الإسلامية التي نشأت بعد انهيار (الاتحاد السوفياتي). وتزويد المعاهد والمدارس في تلك الدول بالكتب التي تعرّف بالإسلام، وتعرض حقائقه وأحكامه وفضائله، وتحقق تنمية سليمة للأساتذة والطلاب وعامة الناس.

١٧- إهـــداء مكتـــبات إســـلامية كاملة (ولومترجمة) إلى الدول غير الإســـلامية، وذلـــك ليستفاد منها في مكتباتها العامة، وفي مراكز الاستشراق، وفي المكتبات الجامعية هناك.

هذا، ولا يعدم المسلم المخلص لدينه من البحث عن مجالات أخرى معاصرة، توجّـــه إليها النشاطات الوقفية، في سبيل تحقيق مزيد من التنمية الثقافية والعلمية، والارتقاء في طرق التفكير والإبداع الإنساني، الذي يرضي الله تعالى وينفع عباده.

الخاتمة

في أهم معالم ونتائج هذا البحث

جرياً على العادة الحسنة، يمكن تلخيص أهم معالم ونتائج هذا البحث على النحوالتالي:

١ - التأكيد على مشروعية الوقف وعلى أهميته في المجتمعات الإسلامية، وبيان أن من أهدافه وغاياته الارتقاء بالإنسان وتحقيق سعادته وتوفير مطالبه وطموحاته الروحية والمادية.

٢ - إبراز مدى اهتمام الإسلام بالتنمية الثقافية والعلمية، وبيان مدى حرص المسلمين على تحقيق ذلك من خلال النشاطات الوقفية.

٣ - بيان أن لوقف المساجد دوراً كبيراً في التنمية الثقافية وترشيد سلوك الأفراد، وقد بدا هذا واضحاً في المجتمعات الإسلامية على امتداد قرون عديدة، حيث تأثرت بالحلقات العلمية والإرشادية التي كانت تعقد في المساجد وغيرها.

٤ - إبراز مدى اهتمام المسلمين بالوقف على التعليم الابتدائي (الأساسي) وذلك من خلال إشادة (الكتاتيب) والتوسع في أعدادها، في كل مدينة وقرية، والإنفاق على المعلمين والطلاب ومستلزمات الدراسة.

٥- بيان أن هذه (الكتاتيب) كانت نقطة الانطلاق في إعداد وتربية النشء، وتمكينه من مبادئ التحصيل، لمواصلة الدراسة والبحث، وتنمية المواهب والمعارف..

٦- إبراز أن الوقف على المدارس والمعاهد العليا ومستلزماتها من الأمور التي تميز بها المسلمون عن غيرهم من الأمم والشعوب، وقد كان لهذا النوع من الوقف إسهام بارز في تحقيق النهضة العلمية والفكرية الشاملة، وتهيئة الظروف الملائمة للإبداع والابتكار في شتى المجالات والتخصصات العلمية ...

٧- إبراز ما للمسلمين من إسهامات جليلة في وقف المكتبات والإنفاق عليها وعلى مستلزماتها، والعناية بتوفير مصادر المعلومات والبحث العلمي في المساجد والمدارس والمعاهد والمستشفيات وغيرها، فضلاً عن وقف المكتبات العامة التي انتشرت في أصقاع العالم الإسلامي، مما كان له إسهام جوهري في تنمية الثقافة وزيادة المعرفة العلمية والإنسانية.

٨- بيان مدى استقلالية العلماء وطلاب العلم عن هيمنة الدولة، وعدم حاجتهم المادية إليها، الأمر الذي منحهم الحرية الفكرية وأثرى مؤلفاتهم ومطارحاتهم ومناظراتهم..

٩- أســـهم الوقـــف قديما وحديثا في إتاحة الفرصة لكل راغب في العلم والمعرفة، مهما كان مركزه الاجتماعي وقدراته المالية.

١٠- أســـهم الوقـــف على المراكز العلمية في ظهور التنافس في صفوف العلماء وطلاب العلم، وبروز أعداد كثيرة من النابغين والنابهين، الذين صاروا فيما بعد قادة المجتمعات في السياسة والفكر والعلم والإبداع، فضـــلاً عن تفعيل وتنشيط حركة التأليف في كل فن وعلم، مما أثار دهشة وتعجب كثير من المفكرين والباحثين والعلماء المعاصرين.

١١- بـــيان أن الثروة الإسلامية الوقفية لا تزال هائلة إلى وقتنا الحاضر، مما يتوجب بذل أقصى الجهود المخلصة للانتفاع بها.

١٢- الإشـــارة إلى الطـــرق والـــنماذج المعاصرة المناسبة لاستثمار وتنمية الممتلكات الوقفية التي يملكها المسلمون حالياً.

١٣- عرض نماذج معاصرة في دور الوقف في التنمية الثقافية والعلمية.

١٤- اقـــتراح مجـــالات أخرى معاصرة تنتظر استيفاء حقها من الوقف في الميادين الثقافية والعلمية والمعرفية..

وصدق الله العظيم القائل:﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب**﴾الزمر /٩

فهرس المصادر والمراجع

١. آداب المعلمين، لابن سحنون، بتعليق محمد العروسي، ط ٢ بتونس ١٩٧٢ م.

٢. الاختيار لتعليل المختار، للموصلي الحنفي، بتعليق الشيخ محمود أبودقيقة، ط٢ بمصر ١٣٧٠/١٩٥١.

٣. إدارة وتثمير ممتلكات الأوقاف، بحوث صادرة عن المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامي للتنمية بجدة، طبع جدة، د.ت.

٤. أدوات الاستثمار الإسلامي، لعزّ الدين خوجة، ط ٢، إصدار مجموعة دلة البركة بجدة ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م.

٥. أسنى المطالب شرح روض الطالب، لزكريا الأنصاري الشافعي، مصورة المطبعة الميمنية بمصر ١٣١٣ هـ.

٦. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، تعليق طه عبد الرؤوف، طبع دار الجيل الجديد ببيروت ١٣٩٣ م.

٧. أعمال الأعلام، لابن الخطيب، مصورة طبعة صقلية ١٩٢٠م.

٨. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، للمرداوي الحنبلي، تحقيق حامد الفقي، ط١ بمصر ١٣٧٥هـ، ١٩٨٠م.

٩. الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، لمحمد محمد أمين، طبع دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٨٠.

١٠. البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، للمرتضى الزيدي، ط٢، لمؤسسة الرسالة ببيروت ١٣٩٤ هـ، ١٩٧٥ م.

١١. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، للكاساني، ط٢، دار الكتب العلمية ببيروت ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦ م.

١٢. بيت الحكمة، لسعيد الديوه جي، ط٢، لدار الكتب للطباعة والنشر بالموصل ١٣٩٢/١٩٧٢.

١٣. تاريخ ابن عساكر، طبع بإشراف عبد القادر بدران، بالشام ١٣٢٩ هـ.

١٤. تاريخ البيمارستانات في الإسلام، لأحمد عيسى، ط٢ لدار الرائد العربي ببيروت ١٤٠١/١٩٨١.

١٥. تاريخ الجامع الأزهر في العصر الفاطمي، لمحمد عبد الله عنان، طبع القاهرة ١٣٦١/١٩٤٢.

١٦. تاريخ الموصل، لسعيد الديوه جي، طبع جامعة الموصل ١٩٨٢م.

١٧. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (المدينة المنورة) للسخاوي، نشرها أسعد الحسيني في عام ١٣٩٩/١٩٧٩.

١٨. تذكرة الحفاظ، للذهبي، طبع دار إحياء التراث العربي ببيروت، د.ت.
١٩. التراتيب الإدارية (نظام الحكومة النبوية) لعبد الحي الكتاني، طبع دار إحياء التراث العربي ببيروت، د.ت.
٢٠. تراجم أعلام النساء، لرضوان دعبول ورفاقه، ط١ لمؤسسة الرسالة ببيروت ١٤١٩/١٩٩٨.
٢١. التربية والتعليم في الأندلس، لإبراهيم العكش، ط١ لدار عمار بعمان ١٤٠٦/١٩٨٦.
٢٢. ترتيب المدارك، للقاضي عياض، طبع الرباط ١٣٨٣/١٩٥٦.
٢٣. الترغيب والترهيب، للمنذري، تحقيق سعيد اللحام، طبع دار الفكر ببيروت ١٤١٤/١٩٩٨.
٢٤. التعريفات، للجرجاني، طبع مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٥٧/ ١٩٣٨.
٢٥. الثمر الداني في تقريب المعاني، للآبي الأزهري المالكي، طبع المكتبة الثقافية ببيروت، د.ت.
٢٦. جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير، تحقيق وتخريج عبد القادر الأرناؤوط، طبع مكتبة الحلواني بدمشق ١٣٩٢/١٩٧٢.

٢٧. جواهـــر الإكلـــيل شرح مختصر خليل، للآبي الأزهري المالكي، طبع مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٦٦/١٩٤٧.

٢٨. جواهـــر العقـــود ومعـــين القضاة والموقعين والشهود، للآسيوطـــي الشافعي، ط١، مطبعة السنة المحمدية بمصر ١٣٧٤/١٩٥٥.

٢٩. حاشية القليوبي، الطبعة الثالثة لمصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ١٣٧٥= ١٩٥٦.

٣٠. الحضارة والثقافة والمدنية، للدكتور نصر عارف، ط١.

٣١. الخطط المقريزية (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) للمقريزي، طبع دار صادر ببيروت د.ت.

٣٢. الدارس في تاريخ المدارس، للنعيمي، تحقيق جعفر الحسني، طبع المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٦٧/١٩٤٨.

٣٣. الـــدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد سيد جاد الحق، طبع دار الكتب الحديثة بالقاهرة، د.ت.

٣٤. الذخيرة، للقرافي المالكي، تحقيق سعيد أعراب، ط١ لـــدار الغـــرب الإســـلامي ببيروت ١٩٤٤م.

٣٥. روضـــة الطالـــبين وعمدة المفتين، للنووي، ط٢ للمكتب الإسلامي ببيروت ١٤٠٥/١٩٨٦.

٣٦. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، للألباني، ط٣ للمكتب الإسلامي ببيروت ١٣٩٢ هـ.

٣٧. سنن ابن ماجه القزويني، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، ط١ بالرياض ١٣٠٤/١٩٨٣.

٣٨. سنن أبي داوود، مراجعة محمد محي الدين عبد الحميد، طبع مكتبة الرياض الحديثة، د.ت.

٣٩. سنن الترمذي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبع دار الكتب العلمية ببيروت د.ت.

٤٠. سنن النسائي (بشرح السيوطي وحاشية السندي) تحقيق عبد الفتاح أبوغدة، ط٢ ببيروت ١٤٠٩/١٩٨٨.

٤١. سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط ورفيقه، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت ١٤٠٣/١٩٨٣.

٤٢. السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق د. همام سعيد ورفيقه، ط١ لمكتبة المنار بالزرقاء ١٤٠٩/١٩٨٨.

٤٣. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري، تحقيق أحمد العطار، طبع دار الكتاب العربي بمصر ١٣٧٧هـ.

٤٤. صحيح البخاري، طبع مكتبة الجمهورية العربية بمصر، د.ت.

٤٥. صــحيح ســنن النسائي، للألباني، ط١ للمكتب الإسلامي ببيروت ١٤٠٨/١٩٨٨.

٤٦. صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط١ لعيسى البابي الحلبي بمصر ١٣٧٥/١٩٥٥.

٤٧. طبقات علماء أفريقيا، للخشني، طبع الجزائر ١٣٢٢هـ.

٤٨. طبقات الفقهاء، للشيرازي، طبع بيروت ١٩٧٠م.

٤٩. العقــود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، للخزرجي، تحقيق محمد بسيوني، مطبعة الهلال بالقاهرة ١٣٢٩/١٩١١.

٥٠. عــيون الــتواريخ، للكتبي، تحقيق فيصل السامر وزميلته، طبع وزارة الثقافة العراقية ببغداد ١٩٤٨ م.

٥١. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، طبع دار الفكر ببيروت، د.ت.

٥٢. القــاموس المحيط، للفيروز آبادي، طبع مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ١٣٧١/١٩٥٢.

٥٣. قــاموس المصــطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، للدكتور سامي ذبيان ورفاقه ط١ بلندن ١٩٩٠م.

٥٤. الكـــامل في الـــتاريخ، لابن الأثير، طبع دار صادر ببيروت ١٤٠٢/ ١٩٨٢.

٥٥. كشـــف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، للعجلوني، طبع مكتبة القدسي بمصر ١٣٥١هــ.

٥٦. كفايـــة الطالب الرباني، لأبي الحسن الشاذلي المالكي، طبع مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٥٧/١٩٣٨.

٥٧. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، لمحمد فؤاد عبد الباقي، طبع وزارة الأوقاف الكويتية ١٣٩٧/ ١٩٧٧.

٥٨. لسان العرب، لابن منظور، ط٣ لدار الكتب المصرية للتأليف١٤٠٠/ ١٩٨٠.

٥٩. المـــبدع في شرح المقنع، لابن مفلح الحنبلي، طبع المكتب الإسلامي ببيروت ١٣٩٤هــ.

٦٠. مجلة المنهل (تصدر بالرياض) العدد ٤٨٩ لشهر ١/١٢/١٤١٢هــ.

٦١. مجلـــة الوعـــي الإسلامي (تصدر عن وزارة الأوقاف الكويتية) العدد ٣٨٩ لشهر ١٠/١٤١٩هــ، والعدد ٣٩٩ لشهر ١١/١٤١٩.

٦٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لابن حجر الهيثمي، مطبعة القدسي بمصر ١٣٥٢هــ.

٦٣. مجمـــوع فتاوى ابن تيمية، جمع عبد الرحمن قاسم وولده، طبع عالم الكتب بالرياض ١٤١٢/١٩٩١.

٦٤. المستدرك على الصحيحين، للحاكم، طبع دار المعرفة ببيروت، د.ت.

٦٥. المسند، للإمام أحمد بن حنبل، طبع دار صادر ببيروت ١٣٨٩هـــ.

٦٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي، ط٦ الأميرية بالقاهرة ١٩٢٥م.

٦٧. معالم الإيمان، لابن ناجي، طبع تونس ١٣٢٠هـــ.

٦٨. معـــاهد العـــلم في بيت المقدس، لكامل جميل العسلي، طبع الجامعة الأردنية بعمان ١٩٨١م.

٦٩. معجـــم الأدبـــاء، لياقوت الحموي، مراجعة لجنة من وزارة المعارف المصرية، طبع دار المأمون بالقاهرة، د.ت.

٧٠. المعجم النقدي لعلم الاجتماع، لبوديكووزميله، ترجمة الدكتور سليم حداد، ط١ ببيروت ١٤٠٦/١٩٨٦.

٧١. المعجـــم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٢ فيها، لدار المعارف ١٤٠٠ هـــ.

٧٢. المعـــيار المعـــرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقيا والأندلس والمغـــرب، للونشريســـي، إخراج د. محمد حجي ورفاقه، طبع دار الغرب الإسلامي ببيروت ١٤٠١/١٩٨١.

٧٣. المغـــني في الفقه الحنبلي، لابن قدامة، تحقيق الدكتور عبد الله التركي وزميله، ط٢ بمصر ١٤١٢/١٩٩٢.

٧٤. المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها، لمحمد ماهـــر حمادة، ط٢ لمؤسسة الرسالة ببيروت ١٣٩٨/١٩٧٨.

٧٥. مناقب محزر بن خلف، لأبي طاهر الفارسي، طبع تونس ١٩٥٩م.

٧٦. المنـــتظم في تـــاريخ الملـــوك والأمم، لابن الجوزي، تحقيق محمد عطا وأخيه، طبع دار الكتب العلمية ببيروت، د.ت.

٧٧. منح الجليل على مختصر خليل، للشيخ عليش المالكي، المطبعة الكبرى بالقاهرة ١٢٩٤هـــ .

٧٨. مـــن روائـــع حضـــارتنا، للدكتور مصطفى السباعي، طبع المكتب الإسلامي ببيروت د.ت.

٧٩. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردى، طبع دار الكتب بالقاهرة ١٢٩٤م.

٨٠. نشـأة الكليـات ومعـاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب، لجورج المقدسـي، ترجمة محمود سيد محمد، طبع مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ١٤١٤/١٩٩٤.

٨١. نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، للشوكاني، طبع دار الجيل ببيروت ١٩٧٣م.

٨٢. الوقـف في العالم الإسلامي - أداة سلطة اجتماعية سياسية - إصدار المعهـد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ١٩٩٥م. (تقديم: راندي ديغيليم).

٨٣. الوقـف وبنية المكتبة العربية، للدكتور يحيى الساعاتي، ط١ بالرياض ١٤٠٨/١٩٨٨.

انتهى البحث بحمد الله تعالى